تفسير

سورة الرعد

بسم الله الرحمن الرحيم

١. ﴿ الٓمٓرٰ ﴾ قال ابن عباس[١] : «معناه أنا الله أعلم وأرى» ، وقال في رواية عطاء[٢] : «يريد أنا الله الملك الرحمن» ، ﴿ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ ﴾ يجوز أن يكون (تلك) إشارة إلى ما مضى من ذكر الأخبار والقصص مما أنزل على محمد ﷺ ، قبل هذه الآية ، ويجوز أن يكون (تلك) بمعنى هذه ، وقد ذكرنا جواز ذلك عند قوله : ﴿ الٓمٓ ۝١ ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ ﴾ [البقرة :١-٢] ، والكتاب يعني به التوراة والإنجيل في قول مجاهد[٣] وقتادة[٤] ، وقال ابن عباس[٥] : «يريد القرآن» .

---

(١) الطبري ١٣/ ٩١ ، وزاد المسير ٤/ ٣٠٠ ، والثعلبي ٧/ ١١٩أ ، وأبو الشيخ كما في الدر ٤/ ٨٠ .

(٢) زاد المسير ٤/ ٣٠٠ .

(٣) الطبري ١٣/ ٩٢ ، وزاد المسير ٤/ ٤ ، والثعلبي ٧/ ١١٩أ .

(٤) الطبري ١٣/ ٩٢ ، وزاد المسير ٤/ ٤ ، وأبو الشيخ كما في الدر ٤/ ٨١ ، والثعلبي ٧/ ١١٩أ .

(٥) زاد المسير ٤/ ٤ ، والثعلبي ٧/ ١١٩أ .

وقولــه تعــالى : ﴿ وَٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ٱلْحَقُّ ﴾ قال الفــرَّاء[١] : «موضع (الذي) رفع بالاستئناف وخبره (الحق) ، ويجوز على قول مجاهد أن يكون (الذي) عطفــاً على الكتاب بمعنى : وآيات الذي أنزل إليك ، ثم رفع[٢] الحق على معنى : ذلــك الحق ، أو هو الحق كقولــه : ﴿ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٤٦﴾ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ ﴾ وعلى قول ابــن عباس في الكتاب أنه القرآن ، يجوز أن يكون (الذي) من نعت الكتاب ، وإن كان فيه الواو كقوله[٣] :

إِلى الْـمَلِكِ الْقَــرْمِ وَابْنِ الْهُمَام . . .البيت

فعطف الــواو وهو يريــد واحداً ، ويكــون (الحق) مرفوعاً بــما ذكرنا من الإضمار» ، هذا كله قول الفرَّاء[٤] وأبي إسحاق[٥] ، وزاد فقال : «ويجوز أن يكون (الــذي) رفعاً[٦] عطفاً على آيــات ، ويكون (الحق) مرفوعــاً على إضمار (هو) ، فحصل في (الذي) وجهان للرفع ، ووجهان للخفض» .

وقولــه تعالى : ﴿ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ قــال ابن عباس[٧] : «يريد أهل مكة لا يؤمنون» ، وقال صاحب النظم : في هذه الآية ، «كأن قائلاً قال : الحق غير ما أنزل على محمد ، فأجيب عن هذا القول بهذه الآية ؛ أي إن هذه الآيات والذي

(١) معاني القرآن ٢/ ٥٧ .
(٢) في (ج) : (يرفع) .
(٣) البيت بلا نسـبة في الإنصاف لابن الأنباري ٣٧٦ ، وخزانــة الأدب ١/ ٤٥١ ، ٥/ ١٠٧ ، ٦/ ٩١ ، وشرح قطر الندى ٢٩٥ ، والكشــاف ١/ ٤١ ، والبحــر ٥/ ٢١٣ ، والقرطبي ١/ ٢٧٢ ، والطبري ١٣/ ٩٢ .
(٤) معاني القرآن ٢/ ٥٧ ، ٥٨ .
(٥) معاني القرآن وإعرابه ٣/ ١٣٥ .
(٦) كذا في النسخ ولعله (رفع) .
(٧) زاد المسير ٤/ ٣٠٠ .

قبلهـــا هو الحق ، لا ما ذهبتم إليه» . وهذا الذي ذكـــره معنى قول مقاتل[١] ، فإنه قال : «نزلت هذه الآية حين قال مشركو مكـــة : إن محمداً يقول القرآن من تلقاء نفسه» .

٢. قوله تعالى : ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ﴾ قال أبو إسحاق[٢] : «لما ذكر أنهم لا يؤمنون ، عرف الدليـــل الذي يوجب التصديـــق بالخالق ، فقال : ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ﴾ الآية ، العمد[٣] : الأســـاطين ، ومنه قول النابغة[٤] :

يَبْنُونَ تَدْمُرَ بِالصُّفَّاحِ[٥] والعَمَدِ

وهو جمع عماد ، يقال : عـــماد ، وعُمَد ، وعُمُد ، مثل إهابٌ ، وأهَبٌ وأُهُبٌ ، قال ذلك أبو إســـحاق[٦] في قولـــه : ﴿ عَمَدٍ مُّمَدَّدَةٍ ﴾ [الهمزة :٩] ، وقـــال الفرَّاء[٧] : «العُمُـــد والعَمَد جمع العمود ، مثـــل أديم وأُدُم ، وأدَم ، وقَضْـــم وقُضْم ، قُضُم والعـــماد والعمود ما يعمد بـــه الشيء ، يقال : عمدت الحائـــط أعمده عمداً ، إذا

(١) تفسير مقاتل ١٥٨ب ، والثعلبي ٧/ ١١٩أ .
(٢) معاني القرآن وإعرابه ٣/ ١٣٦ .
(٣) تهذيب اللغة (عمد) ٣/ ٢٥٦١ .
(٤) عجز بيت للنابغة وصدره :
وخـــيِّـــس الـــجـــنَّ إنّـــي قـــد أَذِنْـــتُ لـــهـــمْ
انظر : ديوانه ١٣ ، والمحـــرر الوجيز ٨/ ١١١ ، والبحر المحيـــط ٥/ ٣٥٧ ، والدر المصون ٧/ ١٠ ، وتهذيـــب اللغة (عمـــد) ٣/ ٢٥٦١ ، ومختار الشـــعر الجاهلي ١٥٢ ، واللســـان (عمد) ٥/ ٣٠٩٧ .
وخيس : ذلل ، تَدْمر : بلدة بالشام ، الصفاح : حجارة عراض رقاق .
(٥) في (أ) و(ب) : (بالصفائح) .
(٦) معاني القرآن وإعرابه ٥/ ٣٦٢ .
(٧) معاني القرآن ٣/ ٢٩١ ، وفيه : «جمعان للعمود» .

دعمته فاعتمد الحائط على العماد ؛ أي امتسك به ، ومن هذا يقال : فلان عمدة قومه ؛ إذا كانوا يعتمدونه في ما يحزبهم» .

وقوله تعالى : ﴿ تَرَوْنَهَا ﴾ فيه ثلاثة أقوال : أحدها أنه كلام مستأنف ، والمعنى رفع السموات بغير عمد ، ثم قال : ﴿ تَرَوْنَهَا ﴾ أي وأنتم ترونها كذلك مرفوعة بلا عمد[١] .

قال ابن الأنباري[٢] : «أفاد بقوله (ترونها) ، أنهم يرونها بلا دعامة ترفعها ، ولا شيء يمسكها من الوقوع ؛ أي الذي تشاهدون من هذا الأمر العظيم وتعاينونه بأبصاركم يغنيكم عن الإخبار وإقامة الدلائل» ، (فترونها) ، على هذا القول ، خبر مستأنف ، قال : «ويجوز أن يكون ترونها متعلقاً بالسموات ، والباء من صلته ، وتلخيصه : (ترونها) بغير عمد ، فالباء معناها التأخير بعد الرؤية ، و(ترونها) ، على هذا ، في موضع نصب في التقدير على الحال من (السموات)» . لو صرف إلى الدائم لقيل : رأيتها[٣] أنتم بغير عمد ، وإذا جعلناه خبراً مستأنفاً غير متعلق بالباء ، كان الباء من صلة الرفع ، وقد حصل في (ترونها) قولان ، وهذا على قول من يقول : إن الله تعالى[٤] خلق السموات بلا عماد من تحتها .

---

(١) ساقطة من (أ) ، (ج) .

(٢) الأضداد ٢٦٨ ، والوقف والابتداء ٢/ ٧٣٠ ، ٧٣١ ، وزاد المسير ٤/ ٣٠١ .

(٣) كذا في جميع النسخ ، ولعل الصواب (رأيتموها) .

(٤) (تعالى) : ساقطة من (ج) .

وهو قول ابن عباس[١] في ما روى جويبر عن الضحاك عنه قال : «يعني ليس من دونها دعامة ، ولا فوقها علاقة» ، وهو قول قتادة[٢] ، وإياس بن معاوية[٣] ، ومقاتل[٤] قال : «هن قائمات ليس لها عمد» .

والقول الثالث في (ترونها) أنه من نعت العمد ، المعنى بغير عمد مرئية ، وعلى هذا الجحد الداخل على العمد واقع في المعنى على الرُؤية ، والتقدير : رفع السموات بعمد لا ترونها ، والعرب قد تقدم الجحد من آخر الكلمة إلى أولها ، ويكون ذلك جائزاً كما تقول : لا تكلمن بغير كلام يمله السامع . معناه : بكلام لا يمله السامع ، ومنه [قول] ابن هرمة[٥] :

وَلا أَرَاهَا[٦] تَزَالُ ظَالِمَةً ... يُحْدِثُ لي نَكْبَةً وَتَنْكَأُهَا

أراد : وأراها لا تزال ظالمة ، وهذا التقدير على قول من قال : إن للسموات عمداً ولكنا لا نراها ، وهو قول ابن عباس[٧] في رواية ، قال : «لها عمد على قاف ، وهو جبل من زبرجد محيط بالدنيا ، ولكنكم لا ترون العمد» ، وهذا قول مجاهد[٨] .

---

(١) الثعلبي ٧/ ١٩٩ب .

(٢) الطبري ١٣/ ٩٤ ، وعبدالرزاق ٢/ ٣٣١ ، وابن المنذر وابن أبي حاتم وأبو الشيخ كما في الدر ٤/ ٦٠١ .

(٣) الطبري ١٣/ ٩٤ ، والدر المنثور ٤/ ٨١ ، والثعلبي ٧/ ١١٩ب . وهو إياس بن معاوية بن قرة بن إياس المزني أبو واثلة ، قاضي البصرة ، تابعي ثقة فقيه يضرب به المثل في الذكاء والدهاء والعقل والفطنة والفصاحة . توفي سنة ١٢٢هـ . انظر : حلية الأولياء ٣/ ١٢٣ ، وتهذيب التهذيب ١/ ١٩٧ .

(٤) تفسير مقاتل ١٥٨ب ، ولم أجده فيه .

(٥) سبق تخريجه .

(٦) في (ج) : (ولال راها) .

(٧) الطبري ١٣/ ٩٤ ، قال : «بعمد لا ترونها» ، والرازي ١٨/ ٢٣٢ .

(٨) الطبري ١٣/ ٩٣ ، وابن أبي حاتم كما في الدر ٤/ ٦٠٠ ، وزاد المسير ٤/ ٨١ .

وأنكر قوم هذا التأويل، وقالوا: لو كان لها عمد لكانت تُرى، والله -عز وجل- إنما دل هذا على قدرته من حيث لا يمكن لأحد أن يقيم جسمًا بغير عمد إلا هو، وما ذكرنا من الأقوال في (ترونها)، والتقديرات فيه، من كلام الفرَّاء[١] والزَّجَّاج[٢] وأبي بكر، وقال الزَّجَّاج في[٣] نظم هذه الآية في سورة لقمان: «من قال بعمد ترونها، يكون معنى (العمد) قدرته التي يمسك بها السموات والأرض، وهي غير مرئية».

وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾؛ أي بالاستيلاء والاقتدار، ونفوذ السلطان، وأصله استواء التدبير، كما أن أصل القيام الانتصاب، ثم يقال قائم بالتدبير، والمعنى: ثم استوى على العرش بالتدبير، للأجسام الذي قد كوّنها، فقوله: ﴿ثُمَّ﴾ يدل على حدوث التدبير، والكلام في معنى الاستواء ماض بالاستقصاء في سورة البقرة[٤].

---

(١) معاني القرآن ٢/ ٥٧.

(٢) معاني القرآن وإعرابه ٣/ ١٣٦.

(٣) معاني القرآن وإعرابه ٤/ ١٩٥.

(٤) عند قوله تعالى: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَسَوَّىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ﴾ [البقرة: ٢٩]، وخلاصة ما ذكره أن للاستواء معاني، منها:

١. أن يستوي الرجل وينتهي شبابه وقوته.
٢. أن يستوي من اعوجاج.
٣. بمعنى أقبل.
٤. بمعنى عمد وقصد.
٥. صعد.
٦. استولى.
٧. علا.

وقد رجح تأويل الاستواء على كل حال وقصد نفي الصفة كما هو مذهب الأشاعرة. وقد تقدم التعليق على ذلك مراراً.

وقولــه تعــالى : ﴿وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ﴾ معنى التســخير التذليل ، قال أبو إســحاق[١] : «كل مقهــور مدبِّر لا يملك لنفســه ما يخلصه مــن القهر ، فذلك مسخّر» ، وقال غيره[٢] : أصله : سخرت السفينة ، إذا أطاعت وطاب لها السير ، وقد سخرها الله تسخيراً ، وأنشد[٣] :

سَوَاخِرٌ في سَواءِ اليَمِّ تَحْتَفِزُ

وتســخرتُ دابة فلان ؛ ركبتها بغير أجر ، ومعنى تسخير الشمس والقمر ، تذليلها لما يراد منهــا ، وهو قوله : ﴿كُلٌّ يَجْرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ أي إلى وقت معلوم ، وهو فناء الدنيا .

وهذا معنى قول ابن عباس[٤] في رواية عطاء ، قال : «يريد أن[٥] هذا كائن إلى يوم القيامة» ، وروي عنه[٦] أنه قال : «أراد بالأجل المسمى انتهاؤهما في السير إلى درجاتهما ومنازلهما ، وهو قول الكلبي[٧] ، قال : «للشمس منازل معلومة ، كل يوم لها منزل تنزله ، حتى تنتهي إلى آخر منازلها ، فإذا انتهت إليه لم تجاوزه ثم ترجع» ، فهذا الأجل المسمى ، وللقمر كذلك .

---

(١) معاني القرآن وإعرابه ٣/ ١٣٦ .

(٢) نقله في التهذيب (سخر) ٢/ ١٦٥٠ عن الليث .

(٣) لم اهــتد إلى قائله وهو بلا نســبة في كتاب العين المنســوب إلى الخليل ٤/ ١٥٦ ، والتهذيب (سخر) ٢/ ١٦٥٠ ، واللسان (سخر) ٤/ ١٩٦٣ .

(٤) تنوير المقباس ١٥٥ ، وزاد المسير ٤/ ٣٠١ ، والقرطبي ٩/ ٢٧٩ .

(٥) ليس في (ب) .

(٦) الثعلبي ٧/ ١٢٠أ ، والقرطبي ٩/ ٢٧٩ ، والرازي ١٨/ ٢٣٣ .

(٧) زاد المسير ٧/ ١٩ .

وقوله تعالى : ﴿ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ﴾ معنى التدبير : تصريف الأمر على ما يقتضيه مستدبر حاله في عاقبته ، والله تعالى يدبر الأمر بحكمته . ﴿ يُفَصِّلُ ٱلْآيَٰتِ ﴾ ؛ أي يبين الآيات التي تدل على قدرته على البعث ، وذلك أنهم كانوا يجحدون البعث ، فأعلموا أن الذي خلق السموات وأنشأ هذه الأشياء ولم تكن ، قادرٌ على إعادتهم ، وهو معنى قوله : ﴿ لَعَلَّكُم بِلِقَآءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ ﴾ قال ابن عباس[١] : «يقول لكي يا أهل مكة توقنون[٢] بالبعث ، وتعلموا أنه لا إله غيري» .

٣. قوله تعالى : ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى مَدَّ ٱلْأَرْضَ ﴾ . قال أبو إسحاق[٣] : «دلهم بعد أن بيّن [آيات السماء بـ][٤] آيات الأرض ، قال : وهو الذي مد الأرض» ، روي في التفسير : أنها كانت مدورة فمدت .

قال أهل اللغة[٥] : معنى المد : أخذ المجتمع بجعله على الطول والعرض ، ولذلك قال الفرَّاء[٦] : «أي بسط الأرض طولاً وعرضاً» . ﴿ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِىَ ﴾ ؛ أي جبالاً ثوابت[٧] ، وقال ابن عباس[٨] : «يريد أوتدها بالجبال» ، وذكرنا معنى الرسو والإرساء في سورة هود[٩] .

---

(١) تنوير المقباس ١٥٥ ، وانظر : الطبري ١٣/ ٩٥ .

(٢) كذا في النسخ ، ولعله خطأ من الناسخ وصحة الكلمة (توقنوا) .

(٣) معاني القرآن وإعرابه ٣/ ١٣٧ .

(٤) ما بين المعقوفين ساقط من (أ) و(ج) .

(٥) تهذيب اللغة (مدد) ٤/ ٣٣٦١ ، واللسان (مدد) ٧/ ٤١٥٧ .

(٦) معاني القرآن ٢/ ٥٨ .

(٧) هذا قول الزَّجَّاج ، انظر : معاني القرآن وإعرابه ٣/ ١٣٧ .

(٨) تنوير المقباس ١٥٥ .

(٩) عند قوله تعالى : ﴿ وَقَالَ ٱرْكَبُوا۟ فِيهَا بِسْمِ ٱللَّهِ مَجْرٖىٰهَا وَمُرْسَىٰهَآ ﴾ [آية :٤١] انظر : اللسان (رسا) ٣/ ١٦٤٧ .

وقوله تعالى : ﴿ زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ ﴾ معنى الزوج في اللغة[١] شكل له قرين من نظير أو نقيض ، فالنظيران كزوجين من خف أو نعل ، والنقيضان كالذكر والأنثى ، والحلو والحامض ، والرطب واليابس ، وقال أبو عبيدة[٢] : «الزوج الواحد ، ويكون اثنين» ، وقال الفرَّاء[٣] : «الزوجان اثنان الذكر والأنثى ، والضربان» ، وذكرنا الكلام في هذا في سورة هود[٤] .

قال الزَّجَّاج[٥] : «أي جعل فيها نوعين» ، وهو معنى قول ابن عباس[٦] : «يريد صنفين» ، قال ابن قتيبة[٧] : «أراد من كل الثمرات لونين حلواً[٨] وحامضاً» .

وقوله تعالى : ﴿ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ ﴾ ذكرناه في سورة الأعراف[٩] .

وقوله تعالى : ﴿ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ أعلم أن ما ذكر من هذه الأشياء فيه برهان وعلامات لمن يفكر في عظمة الله وقدرته ، ثم زادهم من البرهان .

---

(١) تهذيب اللغة (زوج) ٢/ ١٥٧٤ .

(٢) مجاز القرآن ١/ ٣٢١ .

(٣) معاني القرآن ٢/ ٥٨ .

(٤) عند قوله تعالى : ﴿ قُلْنَا ٱحْمِلْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ ﴾ [آية : ٤٠] .

(٥) معاني القرآن وإعرابه ٣/ ١٣٧ .

(٦) القرطبي ٩/ ٢٨٠ ، والثعلبي ٧/ ١٢٠أ .

(٧) مشكل القرآن وغريبه ٢٣٠ ، والثعلبي ٧/ ١٢٠أ .

(٨) في (أ) و(ج) : (حلوٌ) .

(٩) عند قوله تعالى : ﴿ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا ﴾ [الأعراف : ٥٤] . وقال هنالك : «والتغشية إلباس الشيء . . قال أبو إسحاق : والمعنى أن الليل يأتي على النهار ويغطيه ، ولم يقل : يغشى النهار ؛ لأن في الكلام دليلاً عليه» .

٤. فقال : ﴿ وَفِي ٱلْأَرْضِ قِطَعٌ مُّتَجَٰوِرَٰتٌ ﴾ قال قتادة[١] : «قرىً قريب بعضها من بعض» .

ومعنى المتجاورات : المتدانيات المتفاوتات في الكلام[٢] .

قال مجاهد[٣] وابن عباس[٤] والضحاك[٥] : «يعني في الأرض منها عذبة ومنها مالحة ، ومنها طيبة تنبت ، ومنها سبخة لا تنبت» ، ونحو هذا قال الفرَّاء[٦] ، ولا دليل في الآية على ما ذكروا ؛ لأن قوله : ﴿ قِطَعٌ مُّتَجَٰوِرَٰتٌ ﴾ ليس فيه ما يدل على اختلافها في العذوبة والملوحة ، وإنما تتبين الفائدة عند قوله : ﴿ يُسْقَىٰ بِمَآءٍ وَٰحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَىٰ بَعْضٍ ﴾ وقد كشف ابن الأنباري على هذا ، فموضع الآية ومحل الأعجوبة ، أن القطع المتجاورة تنبت نباتاً مختلفاً ، منه الحلو والعذب والحامض البعيد من الحلاوة ، وشربها واحد ومكانها مجتمع لا تفاوت بينها ولا تباين ، وفي هذا أوضح آية على نفاذ قدرة الله .

وقوله تعالى : ﴿ وَجَنَّٰتٌ مِّنْ أَعْنَٰبٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ ﴾ الجنة[٧] البستان الذي تجنه الشجر ، والمعنى : جنات من أعناب ومن زرع ومن نخيل ، والدليل على أن الأرض إذا كان فيها النخل والكرم والزرع[٨] تسمى جنة ، قوله تعالى : ﴿ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ

---

(١) الطبري ١٣/ ٩٧ ، وأبو الشيخ كما في الدر ٤/ ٨٣ ، وزاد المسير ٤/ ٣٠٢ .

(٢) كذا في النسخ ولعلها (الكلأ) .

(٣) الطبري ١٣/ ٩٧ ، وأبو الشيخ كما في الدر ٤/ ٨٣ ، وزاد المسير ٤/ ٣٠٢ .

(٤) الطبري ١٣/ ٩٧ ، ٩٨ ، وابن المنذر وابن أبي حاتم وأبو الشيخ كما في الدر ٤/ ٨٣ ، وزاد المسير ٤/ ٣٠٢ . وهو قول عطاء كما في تفسيره ١٠٤ .

(٥) الطبري ١٣/ ٩٨ ، وزاد المسير ٤/ ٣٠٢ .

(٦) معاني القرآن ٢/ ٥٨ .

(٧) اللسان (جنن) ٢/ ٧٠٥ .

(٨) في (أ) و(ج) : (فالزرع) .

مِنْ أَعْنَابٍ وَحَفَفْنَٰهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا ﴾ [الكهف :٣٢] ، والنخيل : جمع نخل ، يقال : نخلة ، والجماعة نخل ونخيل ، وثلاث نخلات .

ومن قرأ[١] ﴿ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ ﴾ بالرفع حملها[٢] على قوله : ﴿ وَفِي ٱلْأَرْضِ ﴾ ولم يحملها على الجنات ، والجنة على هذا واقعة على الأرض التي فيها الأعناب دون غيرها .

وقوله تعالى : ﴿ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ ﴾ قال أبو عبيدة[٣] : «الصنوان صفة للنخيل ، وهي أن يكون الأصل واحداً ثم يتفرع فيصير نخيلاً ، ثم يحملن» ، وهذا قول جميع أهل التفسير واللغة ، قال ابن عباس[٤] : «(صنوان) ؛ ما كان من نخلتين أو ثلاث أو أكثر إذا كان أصلهن واحداً ، و(غير صنوان) يريد : المتفرق[٥] الذي هو واحدٌ واحد لا يجمعهما أصل واحد» .

---

(١) قرأ ابن كثير وأبو عمرو وعاصم في رواية حفص (وزرعٌ ونخيلٌ صنوانٌ وغير صنوان) بالرفع ، وقرأ عاصم في رواية أبي بكر ونافع وابن عامر وحمزة والكسائي (وزرع ونخيل صنوان وغير صنوان) خفضاً . انظر : السبعة ٣٥٦ ، وإتحاف ٢٦٩ ، والطبري ١٣/ ٩٨ ، ٩٩ ، وزاد المسير ٤/ ٣٠٢ ، والقرطبي ٩/ ٢٨٢ .

(٢) في (أ) و(ج) : (حملها) .

(٣) مجاز القرآن ١/ ٣٢٢ .

(٤) الطبري ١٣/ ٩٩ ، ١٠٠ ، وابن المنذر ، وابن أبي حاتم ٧/ ٢٢٢٠ ، وانظر : الدر ٤/ ٨٤ . وهو قول عطاء كما في تفسيره ١٠٤ .

(٥) في (ج) : (المفترق) .

وقال البراء بن عازب[١] : «الصنوان المجتمع ، وغير الصنوان المتفرق»[٢] .

وقال ابن الأنباري : «الصنوان ما اجتمع أصله من النخل ، والذي يفترق أصله فليس بصنوان ، يقال : هذا صنو فلان ، إذا كان أصلهما واحداً ، ومنه قوله ﷺ : «إن عم الرجل صنو أبيه»[٣] يعني أن أصلهما واحد» .

قال أبو عبيد[٤] : «وأصل الصنو إنما هو في النخل» ، وقال شمر[٥] : «يقال : فلان صنو فلان ؛ أي أخوه ، ولا يسمى صنواً حتى يكون معه آخر ، فهما حينئذ صنوان ، وكل واحد منهما صنو صاحبه» .

وقال أبو إسحاق[٦] : «ويجوز في صنو أصناء ، مثل عدل وأعدال ، فإذا كثرت فهو الصُّني والصنى» .

وقال أبو علي[٧] : «الكسرة التي في صنوان ليست بالكسرة التي في صنو ؛ لأن تلك قد حذفت في التكسير ، وعاقبتها الكسرة التي يجلبها التكسير» ، وقد ذكرنا هذا في نظيره من الكلام ، وهو قنوان في قوله : ﴿قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ﴾ [الأنعام :٩٩]

---

(١) الطبري ١٣/ ٩٩ ، والفريابي وسعيد بن منصور وابن المنذر وابن أبي حاتم ٧/ ٢٢٢١ ، وأبو الشيخ وابن مردويه كما في الدر ٤/ ٦٣ ، والقرطبي ٩/ ٢٨٢ ، ومعاني القرآن للنحاس ٣/ ٤٧٠ .

(٢) في (ج) : (المفترق) .

(٣) أخرجه مسلم من حديث أبي هريرة (٩٨٣) في كتاب الزكاة ، باب تقديم الزكاة ، وأحمد في مسنده ٢/ ٣٢٢ ، ٣٢٣ ، والترمذي (٣٧٦١) في كتاب المناقب ، باب مناقب العباس مختصراً . وأخرجه الطبري ١٣/ ١٠٠ ، ١٠١ .

(٤) غريب الحديث ١/ ٢١٧ ، والتهذيب (صنو) ٢/ ٢٠٦١ .

(٥) التهذيب (صنو) ٢/ ٢٠٦١ .

(٦) معاني القرآن وإعرابه ٣/ ١٣٨ .

(٧) الحجة ٥/ ٩ .

مستقصىً ، وروى القواس عن حفص[١] (صُنوانٌ) بضم الصاد ، جعله مثل : ذيب وذوبان ، وربما تعاقب فِعْلان وفُعْلان على البناء الواحد ، نحو : حُش وحُشان .

قال أبو علي[٢] : «وأظن سيبويه قد حكى فيه الضم ، والكسر أكثر في الاستعمال» .

وقوله تعالى : ﴿ يُسْقَىٰ بِمَآءٍ وَٰحِدٍ ﴾ أي يُسقى هذه الأشياء بماء التي ذكرها من القطع المتجاورة ، والجنات والنخيل المختلفة ، ومن قرأ[٣] ﴿ يُسْقَىٰ ﴾ بالياء ، كان التقدير : يسقى ما قصصناه وما ذكرناه ، قال ابن عباس[٤] : «يريد البئر واحد ، والشرب واحد ، والجنس واحد» ، ﴿ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَىٰ بَعْضٍ فِى ٱلْأُكُلِ ﴾ يخبر بعجائبه وقدرته في خلقه ، وروى الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة عن النبي ﷺ : ﴿ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَىٰ بَعْضٍ فِى ٱلْأُكُلِ ﴾ . قال : «الفارسي[٥] والدَّقل[٦] والحلو والحامض»[٧] .

---

(١) قال ابن مجاهد : «حدثني الحسن بن العباس عن الحُلْواني عن القواس عن حفص ، عن عاصم (صُنوانٌ) بضم الصاد والتنوين ، ولم يقله غيره عن حفص» اهـ . السبعة ٣٥٦ .

(٢) الحجة ٥/ ٩ .

(٣) اختلف القراء في الياء والتاء من قوله (يُسْقَى) ، وفي النون والياء من قوله (ونُفضِّل) . فقرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو : (تُسقى) بالتاء (ونفضل) بالنون ، وقرأ حمزة والكسائي (تسقى) بالتاء ممالة القاف و(يفضل) بالياء مكسورة الضاد ، وقرأ عاصم وابن عامر (يُسقى) بالياء (ونُفضِّل) بالنون . انظر : السبعة ٣٥٦ ، وإتحاف ٢٦٩ ، والطبري ١٣/ ١٠١ ، ١٠٢ ، وزاد المسير ٤/ ٣٠٣ ، والقرطبي ٩/ ٢٨٩ .

(٤) تفسير كتاب الله العزيز ٢/ ٢٩٤ بنحوه .

(٥) الفارسي من التمر ، لعله البرني ، وهو ضرب من التمر أصفر مدور ، عذب الحلاوة وهو أجوده . تعليق محمود شاكر على الطبري ١٣/ ١٠٣ .

(٦) الدقل : أردأ أنواع التمر .

(٧) أخرجه الترمذي (٣١١٨) في كتاب تفسير القرآن ، باب ومن تفسير سورة الرعد ، ولكنه قدم الدقل على الفارسي ، وقال الترمذي : هذا حديث حسن غريب ، وحسنه الألباني في صحيح الترمذي ٣/ ٦٥ . وأخرجه الطبري ١٣/ ١٠٣ ، وعلق عليه أحمد شاكر بقوله «فهذا إسناد كما ترى فيه من الهلاك ، =

وروى سعيد بن جبير عن ابن عباس[١] قال : «يعني تُسْقَى القطع[٢] كلها بماء السماء» ، و﴿ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَىٰ بَعْضٍ فِي ٱلْأُكُلِ ﴾ يعني اختلاف الطعم والشجر .

وقال أبو إسحاق[٣] : «والأُكُل الثمر الذي يؤكل» ، ويفصّل الآيات بالياء ؛ لأنه جرى ذكر الله تعالى ، فالمعنى : يُفصِّلُ الله الآيات ، وكذلك من قرأ بالنون ؛ لأن الإخبار عن الله تعالى بلفظ الجماعة كقوله : ﴿ إِنَّا نَحْنُ ﴾ ، وقال غيره[٤] : الأكل المهيأ للأكل ، ومنه قيل : للرزق الأُكْل ، يقال : فلان كثير الأُكْل من الدنيا .

وقوله تعالى : ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ .

قال ابن عباس[٥] : «يريد أهل الإيمان وهم أهل العقل الذين لم يجعلوا لله[٦] نداً» ، وهذا دليل على أنه لم يجعل الكفار أهل عقل كعقل المؤمنين ؛ لأنهم لم يستدلوا بهذه الأشياء على توحيد الصانع كما استدل أهل الإيمان .

= وانفراد الضعيف به فيه ما فيه ، فكيف جاز للترمذي أن يحسنه مع هذه القوادح التي تقدح فيه من نواحيه» اهـ . تعليق الطبري ١٦/ ٣٤٥ .
وروى عن ابن عباس نحوه كما في الطبري ١٣/ ١٠٣ .
وأخرجه ابن المنذر والبزار وأبو الشيخ وابن مردويه ، وابن أبي حاتم ٧/ ٢٢٢١ ، وانظر : الدر ٤/ ٨٥ .

(١) الطبري ١٣/ ١٠٣ بنحوه تنوير المقباس ١٥٥ .
(٢) ليس في (ج) .
(٣) معاني القرآن وإعرابه ٣/ ١٣٨ .
(٤) انظر : تهذيب اللغة (أكل) ١/ ١٧٦ ، واللسان (أكل) ١/ ١٠٠ ، ١٠١ .
(٥) تنوير المقباس ١٥٥ بنحوه .
(٦) في (أ) و(ج) : (الله) .

٥. قوله تعالى : ﴿ وَإِن تَعْجَبْ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ ﴾ قال ابن عباس[١] : «يريد من تكذيبهم إياك بعد ما كنت عندهم الصادق الأمين» ، وقال جماعة من أهل التفسير[٢] : وإن تعجب يا محمد من عبادتهم ما لا يملك لهم نفعاً ولا ضرّاً ، بعدما رأوا من قدرة الله في خلقه الأشياء التي ذكرها ، فعجبٌ قولهم : ﴿ أَءِذَا كُنَّا تُرَٰبًا أَءِنَّا لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍ ﴾ قال أبو إسحاق[٣] : «أي هذا موضع عجب أنهم أنكروا البعث ، وقد بيّن لهم من خلق السموات والأرض ما يدل على أن البعث أسهل في القدرة مما قد تبينوا» .

قال ابن عباس : «يريد فعجب قولهم أن ضعفوا قدرتي بإنكار البعث» ، وتلخيصه : إن تعجب يا محمد من اتخاذهم الأوثان وتكذيبك بعد البيان ، فتعجب من هذا أيضاً ، فإنه موضع العجب ، ومعنى قوله : ﴿ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ ﴾ أي عندك ؛ لأن الله تعالى لا يعجب من شيء[٤] .

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم ٧/ ٢٢٢١ ، وأبو الشيخ عن الحسن نحوه كما في الدر ٤/ ٨٥ ، والقرطبي ٩/ ٢٨٤ .

(٢) الطبري ١٣/ ١٠٣ ، ١٠٤ ، والثعلبي ٧/ ١٢١ب ، وزاد المسير ٤/ ٣٠٤ ، والقرطبي ٩/ ٢٨٤ .

(٣) معاني القرآن وإعرابه ٣/ ١٣٨ .

(٤) سبق التعليق على نفيه هذه الصفة في مبحث منهجه في العقيدة .

قال أبو علي[١] : «من قرأ[٢] بالاستفهام في (أإذا) و(أإنَّا) فموضع ﴿أَءِذَا﴾ نصب بفعل مضمر ، يدل عليه قوله : ﴿أَءِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ ، لأن هذا الكلام يدل على نُبعث ونُحشر ، كأنه قال : أنبعث إذا كنا تراباً ، وهكذا إذا لم يدخل الاستفهام في الجملة الثانية ، لأن ما بعد أن في ما قبله بمنزلة الاستفهام ، في أنه لا يجوز أن يعمل ، فلما قدرت هذا الناصب لـ (إذا) مع الاستفهام ، [لأن الاستفهام][٣] لا يعمل ما بعده في ما قبله ، كذلك تقدره في (أن) ؛ لأن ما بعدها أيضاً لا يعمل في ما قبلها» ، وهذا الذي ذكره أبو علي هو شرح كلام أبي إسحاق[٤] وقد ذكره .

وقوله تعالى[٥] : ﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ ٱلْأَغْلَٰلُ فِيٓ أَعْنَاقِهِمْ﴾ الأغلال جمع الغل ، وهو طوق[٦] تقيد به اليد إلى العنق ، يقال منه غل الرجل فهو مغلول .

قال أبو إسحاق[٧] : «جاء في التفسير أن الأغلال في أعناقهم يوم القيامة ؛ والدليل على ذلك قوله[٨] : ﴿إِذِ ٱلْأَغْلَٰلُ فِيٓ أَعْنَاقِهِمْ وَٱلسَّلَٰسِلُ﴾ إلى قوله : ﴿ثُمَّ فِي ٱلنَّارِ يُسْجَرُونَ﴾»[غافر ٧١، ٧٢] ، قال : «ويجوز أن يكون معنى الأغلال هاهنا

---

(١) الحجة ٥/ ١١ .

(٢) قرأ ابن كثير وابو عمرو (أيذا كنا تراباً أينا) جميعاً بالاستفهام ، غير أن أبا عمرو يمد الهمزة ثم يأتي بالياء ساكنة ، وابن كثير بالياء ساكنة من غير مدة ، وقرأ نافع (أيذا) مثل أبي عمرو ، واختلف عنه في المد ، وقرأ (إنَّا) مكسورة الألف على الخبر ، ووافقه الكسائي في اكتفائه بالاستفهام الأول عن الثاني غير أنه كان يهمز همزتين ، وقرأ عاصم وحمزة (أءذا كنا . . أءنا) بهمزتين فيهما جميعاً ، وقرأ ابن عامر (إذ كنا) مكسورة الألف من غير استفهام ، (آءنا) يهمز ثم يمد ثم يهمز ، في وزن عَاعنَّا . انظر : السبعة ٣٥٧ ، وإتحاف ٢٦٩ ، وزاد المسير ٤/ ٣٠٤ .

(٣) ما بين المعقوفين ليس في (ج) .

(٤) انظر : معاني القرآن وإعرابه ٣/ ١٣٨ .

(٥) في (ب) : (وأولئك) .

(٦) في (أ) و(ج) : (طرق) .

(٧) معاني القرآن وإعرابه ٣/ ١٣٩ ، وفيه : «أن الأغلال الأعمال في أعناقهم» .

(٨) في (ج) : (تعالى) .

أعمالهم السيئة التي هي لازمة لهم ، كما يقال للرجل : هذا غل في عنقك ، للعمل السيء ، معناه أنه لازم لك وأنك مجازىً عليه العذاب» .

٦. قوله تعالى : ﴿ وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلسَّيِّئَةِ قَبْلَ ٱلْحَسَنَةِ ﴾ ، قال ابن عباس[١] : «يريد العذاب قبل الرحمة»[٢] .

وقال أبو إسحاق[٣] : «أي يطلبون العذاب بقولهم : ﴿ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ﴾ [الأنفال :٣٢] ، قال المفسرون[٤] : يعني مشركي مكة ؛ سألوا رسول الله ﷺ أن يأتيهم العذاب استهزاءً منهم بذلك ، كما أخبر عنهم في آية أخرى بقوله : ﴿ وَإِذْ قَالُواْ ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلْحَقَّ مِنْ عِندِكَ ﴾ [الأنفال :٣٢] الآية ، فالمراد بالسيئة هاهنا العقوبة المهلكة والعذاب ، والحسنة هي العافية والرخاء ، والله تعالى صرف عمن بعث إليه محمد ﷺ عقوبة الاصطلام[٥] ، وأخَّر تعذيب مكذبيه إلى يوم القيامة ، فذلك التأخير هو الحسنة» .

قال أهل المعاني : وهي إحسانه بالإنظار في حكم[٦] الله أن يمهل هذه الأمة للتوبة ، ثم يأخذ من أقام على الكفر بالعقوبة ، وهؤلاء الكفار استعجلوا العذاب قبل إحسان الله معهم بالإنظار .

---

(١) زاد المسير ٤/ ٣٠٥ .

(٢) ما بين المعقوفين ساقط من (أ) و(ج) .

(٣) معاني القرآن وإعرابه ٣/ ١٣٩ .

(٤) الثعلبي ٧/ ١٢١ب ، والطبري ١٣/ ١٠٥ ، وقد روى هذا المعنى عن قتادة وغيره ، وزاد المسير ٤/ ٣٠٥ ، والقرطبي ٩/ ٢٨٤ .

(٥) الاصطلام : الاستئصال ، واصطُلِمَ القوم : أبيدوا ، والاصطلام : إذا أبيد قوم من أصلهم . انظر : تهذيب اللغة (صلم) ٢/ ٢٠٤٧ ، واللسان (صلم) ٤/ ٢٤٨٩ .

(٦) في (ب) : (في حلم) .

وقوله تعالى : ﴿ وَقَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِمُ ٱلْمَثُلَٰتُ ﴾ ، العرب[١] تقول للعقوبة : مَثُلة ومُثُلَــة ، مثل : صَدُقة وصُدُقَــة ، فالأولى لغة الحجــاز ، والثانية لغة تميم ، ومن قال : مَثُلَة ، جمعهــا مَثُلات ، ومن قال : مُثْلَة ، جمعها على مُثُلات ومَثْلات ، ومُثْلات ، بإسكان الثاء ، وهذا معنى قول الفرَّاء[٢] والزَّجَّاج[٣] وبعض عبارتهما .

وقال ابن الأنباري[٤] : «المُثْلَة : العقوبة المبقية في المعاقَب شــيئاً بتغيير بعض خَلْقه ، الذي إذا أفســد قبحت معه الصورة ، وهو من قولهم : مثَّل فلان بفلان ، إذا شان خَلْقه بقطع أنفه أو[٥] أذنه أو سمل عينه أو بقر بطنه ، يُمثّل مَثْلاً بفتح الميم وسكون الثاء ، فهذا الأصل ، ثم يقال للعار الباقي والخزي اللازم : مُثْلَة» . انتهى كلامه . وأصل هذا الحرف من المثل الذي هو الشبه .

قال أبو عبيدة[٦] : «المُثُلات هي الأمثال والأشــباه والنظائر ، يريد العقوبات التي يشــبه بعضها بعضاً في الإهلاك ، كعقوبات الأمم الماضية» ، ونحو هذا قال ابن قتيبة[٧] .

وقال الزَّجَّاج[٨] : «المعنى أنهم يستعجلون بالعذاب» ، وقد تقدم من العذاب ما هو مُثْلــة ، وما فيه نكالٌ لهم لو اتعظوا ، فقوله : تقدم من العذاب ما هو مُثْلة ، دليل على ما ذكرنا ، وقــال بعضهم : المثلات العقوبات التــي تزجر عن مثل ما وقعت لأجله .

---

(١) تهذيب اللغة (مثل) ٤/ ٣٣٤٢ ، واللسان (مثل) ٧/ ٤١٣٥ .
(٢) معاني القرآن ٢/ ٥٩ .
(٣) معاني القرآن وإعرابه ٣/ ١٣٩ .
(٤) زاد المسير ٤/ ٣٠٦ .
(٥) في (ب) : (أنفه وأذنه) .
(٦) مجاز القرآن ١/ ٣٢٣ قال : «واحدتها مَثُلة ومجازها مجاز الأمثال» .
(٧) مشكل القرآن وغريبه ٢٣٠ .
(٨) معاني القرآن وإعرابه ٣/ ١٤٠ .

قال ابن عباس في قوله : ﴿وَقَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِمُ ٱلْمَثُلَٰتُ﴾ ، قال : «ما مثَّل الله بالمكذبين قبلهم ،» والذي يدل من التفسير على ما ذكرنا من الاشتقاق ، ما روى ابن أبي نجيح عن مجاهد[١] ، في قوله : ﴿ٱلْمَثُلَٰتُ﴾ قال : «الأمثال ، قال أبو بكر : العقوبة يتذاكرها[٢] الناس ويضربون بها الأمثال ، [فسمي باسم هو من سببها» ، وعلى هذا سميت العقوبات أمثالاً لما يضرب بها من الأمثال][٣] ، والصحيح في اشتقاق المُثْلة أنها العقوبة الظاهرة من قولهم : مثل الشيء ، إذا ظهر وانتصب قائماً ، ومنه قول لبيد[٤] :

ثُمَّ أَصْدَرْنَاهُمَا في وارِدٍ صَادِرٍ وَهْمٍ صُوَاهُ قَدْ مَثَلْ

أي انتصب وظهر ، قال الأزهري[٥] في هذه الآية : «يقول يستعجلونك بالعذاب الذي لم أعاجلهم به ، وقد علموا ما نزل من عقوباتنا بالأمم الخالية ، فلم يعتبروا بها ، وكان ينبغي أن يردعهم ذلك عن الكفر ، خوفاً أن ينزل بهم مثل الذي نزل بمن كفر قبلهم» .

---

(١) الطبري ١٣/ ١٠٥ ، وابن أبي شيبة وابن المنذر وابن أبي حاتم ٧/ ٢٢٢٣ ، وأبو الشيخ كما في الدر ٤/ ٨٦ .

(٢) في (ج) : (يتذاكراها) .

(٣) ما بين المعقوفين ساقط من (أ) و(ج) .

(٤) البيت في ديوانه ١٤٣ ، وديوان الأدب ٣/ ٢٢٩ ، وكتاب العين ٢/ ١٣٢ ، ٧/ ٤٢٣ ، وتاج العروس (مثل) ١٥/ ٦٨٤ ، ومقاييس اللغة ٢/ ٤٧٨ ، والمعاني الكبير ١١٠١ ، وتهذيب اللغة (مثل) ٤/ ٣٣٤٣ ، واللسان (مثل) ٧/ ٤١٣٥ .
والوارد والصادر : الطريق . ووهم : واسع ضخم . وصوى الطريق : أعلامه . وقد مثل : شخص وبرز .

(٥) تهذيب اللغة (مثل) ٤/ ٣٣٤٢ .

وقولــه تعــالى : ﴿ وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِّلنَّاسِ عَلَىٰ ظُلْمِهِمْ ﴾ قال ابن عباس[١] : «لــذو تجاوز عن المشركــين إذا آمنوا وصدقــوا» ، ﴿ وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴾ للمصرِّين على الشرك ، ونحو هذا قال الحسن[٢] : ﴿ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِّلنَّاسِ عَلَىٰ ظُلْمِهِمْ ﴾ بالتوبة منه ، فعلى هذا المراد بالناس المشركون وهو الظاهر ؛ لأن الآية نازلة فيهم .

٧. قولــه تعــالى : ﴿ وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦٓ ﴾ قــال المفــسرون[٣] : إن المشركين تحكموا في طلب الآيــات من نحو تفجير الأنهار بمكة ، ونقل جبالها عن أماكنها ، لتتســع على أهلها ، أو إنزال منشور من السماء ، أو آية كآيات موسى وعيسى ، فذلك معنى قوله : ﴿ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦٓ ﴾ قــال ابن عبــاس[٤] : «يريد مثل الناقة والعصــا ، وما جاء به النبيــون» ، وقال أبو إســحاق[٥] : «طلبوا غير الآيات التي أتى بها ، فالتمســوا مثل آيات موسى وعيسى ، فقال الله تعالى : ﴿ إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرٌ ﴾» ، قال ابــن عباس : «يريد بالنار لمن عصى الله» . قال أهل المعاني : معناه إنما أنت منذر تنذرهم بالنار وليس إليك من الآيات شيء ، إنما أمرها إلى الله تعالى ، ينزلها على ما في معلومه .

---

(١) زاد المسير ٤/ ٣٠٦ .

(٢) تفسير كتاب الله العزيز ٢/ ٢٩٤ بنحوه .

(٣) الطبري ١٣/ ١٠٦ ، والثعلبي ٧/ ١١٢أ ، وزاد المسير ٤/ ٣٠٦ ، والقرطبي ٩/ ٢٨٥ .

(٤) انظر : الرازي ١٩/ ١٣ ، وابن كثير ٤/ ٣٥٥ .

(٥) معاني القرآن وإعرابه ٣/ ١٤٠ .

وقوله تعالى : ﴿ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ ﴾ قال ابن عباس[١] في رواية عطاء : «يريد نبيّاً يدعوهم إلى الله تعالى» ، وهذا قول مجاهد[٢] ، وقتادة[٣] ، وابن زيد[٤] ، واختيار أبي إسحاق[٥] ، قال : «﴿ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ ﴾ أي نبي وداع إلى الله يدعوهم بما يُعْطَى من الآيات ، لا بما يريدون ويتحكمون فيه» ، ودلَّ على هذا المعنى ما سبق من الكلام .

وقال في رواية عطية[٦] : «الهادي هو الله تعالى» ، وهو قول سعيد[٧] بن جبير والضحاك[٨] ، والمعنى على هذا : بك الإنذار والتخويف ، والله تعالى هادي كل قوم ، يهدي من يشاء ، قال الضحاك : نظيره : ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ ﴾ [القصص :٥٦] ، وقال الحسن[٩] ، وعكرمة[١٠] ، وأبو الضحى[١١] : «الهادي هاهنا محمد ﷺ» ، والمعنى على هذا ما قاله الحسين بن الفضل[١٢] : «إن هذا على التقديم والتأخير ، التقدير : إنما أنت منذر وهاد لكل قوم ، وليس إليك من الآية شيء ، غير أنك تنذر وتدعو إلى الحق» .

---

(١) زاد المسير ٤/ ٣٠٧ .
(٢) الطبري ١٣/ ١٠٧ ، ١٠٨ ، وابن أبي شيبة وابن المنذر وابن أبي حاتم ٧/ ٢٢٢٥ ، وأبو الشيخ كما في الدر ٤/ ٨٦ .
(٣) الطبري ١٣/ ١٠٨ ، وأبو الشيخ كما في الدر ٤/ ٨٦ ، وزاد المسير ٤/ ٣٠٧ .
(٤) الطبري ١٣/ ١٠٨ ، وزاد المسير ٤/ ٣٠٧ .
(٥) معاني القرآن وإعرابه ٣/ ١٤٠ .
(٦) الطبري ١٣/ ١٠٨ ، ١٠٩ .
(٧) الطبري ١٣/ ١٠٧ .
(٨) الطبري ١٣/ ١٠٧ .
(٩) زاد المسير ٤/ ٣٠٧ .
(١٠) الطبري ١٣/ ١٠٧ ، وزاد المسير ٤/ ٣٠٧ .
(١١) الطبري ١٣/ ١٠٦ ، والثعلبي ٧/ ١٢٢أ ، وزاد المسير ٤/ ٣٠٧ .
(١٢) انظر : الطبري ١٣/ ١٠٩ ، وابن مردويه كما في الدر ٤/ ٨٦ .

٨. قوله تعالى : ﴿ ٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنثَىٰ ﴾ قال ابن عباس[١] : «يريد : ذكر أم أنثى ، أم واحد أم اثنين أم أكثر»[٢] . وقال غيره[٣] : الله يعلم ما في بطن كل حامل ، من علقة أو مضغة أو ناقص أو زائد ، على اختلافه في جميع أحواله .

وقوله تعالى : ﴿ وَمَا تَغِيضُ ٱلْأَرْحَامُ ﴾ الغيض النقصان لازماً وواقعاً ، ذكرنا ذلك عند قوله : ﴿ وَغِيضَ ٱلْمَآءُ ﴾ [هود :٤٤] ، وضده الازدياد ، وهو أيضاً لازم وواقع ، وهما واقعان في الآية ، ومفعولهما محذوف ؛ لأنهما من صلة (ما) والراجع إلى الموصول يحذف كثيراً .واختلفوا في الذي تغيضه الأرحام وتزداده ؛ فقال مجاهد[٤] : «هو خروج الدم واستمساكه ، فإذا خرج الدم خس الولد ، وإذا استمسك الدم تم الولد» ، وهذا يدل على أن [الحامل][٥] تحيض ، فعلى هذا ، الغيض ما تنقصه الأرحام من الدم ، والزيادة ما تزداده منه ، وقال عكرمة[٦] : «ما رأت من دم على حملها زاد ذلك في حلمها» ، ونحو هذا رواه عطاء عن ابن عباس[٧] ، فقال : «وما تغيض الأرحام ، يريد : من الدم عند الحمل» ، كما ذكرنا من قول مجاهد ، والزيادة أن يزيد على تسعة أشهر .

---

(١) زاد المسير ٤/ ٣٠٨ ، والقرطبي ٩/ ٢٨٥ ، والبغوي ٣/ ٢٩٧ ، والرازي ١٩/ ١٣ .

(٢) كذا في النسخ والوسيط والمطبوع ٣/ ٧ ، وفي الوسيط النسخة المحققة ٢٦٥ : «يريد ذكراً أم أنثى واحداً أم اثنين أم أكثر ، وهو الصواب ، والله أعلم» .

(٣) زاد المسير ٤/ ٣٠٨ .

(٤) الطبري ١٣/ ١٠٩ـ١١١ ، وابن أبي حاتم ٧/ ٢٢٤٦ .

(٥) في (أ) و(ج) : (الجامع مل) .

(٦) الطبري ١٣/ ١١١ .

(٧) الطبري ١٣/ ١٠٩ ، وابن أبي حاتم ٧/ ٢٢٢٦ .

قــال المفسرون[١] وأهل العلم : إذا حاضت المــرأة على الحبل كان نقصاناً في غــذاء الولد ، وزيادة في مدة الحمل ، حتى إن لها بكل يوم حاضته على حملها يوماً تزداده في طهرها ، حتى تستكمل تسعة أشــهر طاهراً ، فإن رأت الدم خمسة أيام وضعت لتسعة أشهر وخمسة أيام ، وقال أكثر المفسرين : الغيض والزيادة يعودان إلى مــدة الحمل ، وتلخيصه : ويعلم الوقت الــذي تغيضه الأرحام من المدة التي هي تسعة أشــهر ، وما تزداد على ذلك ، قاله ابن الأنباري ، وهو معنى قول أكثر المفسرين .

قال ابن عباس[٢] في رواية الضحاك : «وما ينقص من التســعة الأشــهر وما يزداد على ذلك» ، وهو قول عطية[٣] ، والحسن[٤] ، والضحاك[٥] ، قال : «الغيض النقصان مــن الأجل ، والزيادة ما تزداد على الأجل ، وذلك أن النســاء لا يلدن لعدة واحدة» ، ونحو هذا القول روى الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس[٦] .

وقوله تعالى : ﴿ وَكُلُّ شَيْءٍ عِندَهُۥ بِمِقْدَارٍ ﴾ قــال ابن عباس[٧] : «يريد علم كل شيء فقدره تقديراً مما يكون قبل أن يكون ، وكل ما هو كائن إلى يوم القيامة» .

---

(١) الثعلبي ٧/ ١٢٣أ .
(٢) زاد المسير ٤/ ٣٠٨ ، والقرطبي ٩/ ٢٨٦ ، وابن أبي حاتم ٧/ ٢٢٢٦ـ٢٢٢٧ ، عن الضحاك .
(٣) الطبري ١٣/ ١١٢ .
(٤) الطبري ١٣/ ١١١ ، وزاد المسير ٤/ ٣٠٨ ، وتفسير القرآن العزيز ٢/ ٢٩٥ .
(٥) الطبري ١٣/ ١١١ ، ١١٢ ، وزاد المسير ٤/ ٣٠٨ .
(٦) تنوير المقباس ١٥٦ ، وانظر : الطبري ١٣/ ١٠٩ ، وابن أبي حاتم ٧/ ٢٢٢٦ .
(٧) زاد المسير ٤/ ٣٠٨ .

وأما معنى المقدار في اللغة[١] قال الليث : «المقدار القدر» ، وأنشد[٢] :

لَوْ كانَ خَلْفَكَ أَوْ أَمَامَكَ هَائِباً بَشَراً سِوَاكَ لَهَابَكَ المِقْدَارُ

يعني الموت ، وقال : «المقدار أيضاً الهنداز»[٣] ، وهو ما يقدر به الشيء ، فمن الأوّل يقال : الأشياء مقادير ، ومن الثاني : يقال : الأشياء بمقادير ، يقال : المطر ينزل بمقدار ، أي بقَدَر وقدْر ، والمقدار بالمعنيين يجوز في الآية ؛ لأن كل شيء بقضاء عند الله وقدر ، وكل شيء أيضاً عنده معلوم مقدر بمقدار لا يعلمه غيره .

٩. قوله تعالى : ﴿ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ﴾ قال ابن عباس[٤] : «يريد علم ما غاب عن جميع خلقه ، وما شهد مما علموا الكثير» ، فعلى هذا الغيب مصدر يريد به الغائب ، ومثله الشهادة يريد به الشاهد ، ومعنى قوله : مما علموا الكثير ؛ لأن الكثير من الشاهد يعلمه الخلق .

وقوله تعالى : ﴿ ٱلْكَبِيرُ ﴾ هو بمعنى العظيم والجليل ، ومعناه يعود إلى كبر قدره واستحقاقه صفات العلو ، وهو أكبر من كل كبير ؛ لأن كل كبير يصغر بالإضافة إليه .

---

(١) تهذيب اللغة (قدر) ٣/ ٢٨٩٧ ، واللسان (قدر) ٦/ ٣٥٤٨ .

(٢) البيت بلا نسبة في اللسان (قدر) ٦/ ٣٥٤٨ ، وتاج العروس (قدر) ٧/ ٣٧٥ .

(٣) الهنداز معرب ، وأصله بالفارسية أنْدازاه ، يقال : أعطاه بلا حساب ولا هنْداز ، ومنه : المُهَندز : الذي يقدر مجاري القُني والأبنية ، إلا أنهم صيروا الزاي سيناً ؛ لأنه ليس في كلام العرب زاي قبلها دال . اللسان (هندز) ٨/ ٤٧١٠ .

(٤) القرطبي ٩/ ٢٨٩ .

وقوله تعالى : ﴿ ٱلْمُتَعَالِ ﴾ قال الحسن[١] : «المتعالي عما يقول المشركون» .

قال الأزهري[٢] : «المتعالي : الذي جلَّ عن إلحاد الملحدين» ، وأثبت[٣] ابن كثير (ياء) ، المتعالي وقفاً ووصلاً ، وهو القياس ، وليس ما فيه الألف واللام من هذا ، كما لا ألف ولام فيه من هذا النحو ، مثل : قاضٍ وغازٍ .

قال سيبويه[٤] : «إذا لم يكن في موضع تنوين ، فإن البيان أجود في الوقف ، نحو قولك : هذا القاضي ؛ لأنها ثابتة في الوصل» ، يريد أن اللام[٥] مع الألف واللام تثبت ولا تحذف ، كما تحذف إذا لم يكن فيه الألف واللام ، نحو : هذا قاضٍ ، والياء مع غير الألف واللام تحذف في الوصل ، فإذا حذفت في الوصل كان القياس أن تحذف في الوقف ، وهي اللغة التي هي أشيع وأفشى ، وأما إذا دخلت الألف واللام ، فلا تحذف اللام في اللغة التي هي أكثر عند سيبويه ، فأما من حذف في الوصل والوقف ، فإن سيبويه زعم أن من العرب من يحذف هذا في الوقف ، يشبهه بما ليس فيه ألف ولام ، إذ كانت تذهب الياء في الوصل في التنوين ، لو لم يكن فيه ألف ولام ، وهذا في الوقف ، وأما في الوصل فكان القياس أن لا تحذف ؛ لأنه يوجب[٦] حذف شيء ، غير أن الفواصل تشبه القوافي .

---

(١) زاد المسير ٤/ ٣٠٩ ، والقرطبي ٩/ ٢٨٩ ، وتفسير الحسن ٢/ ٥١ .

(٢) تهذيب اللغة (على) ٥/ ٣٠٩١ .

(٣) من هنا نقل عن الحجة ٥/ ١٣ ، ١٤ بتصرف إلى نهاية النص .

(٤) الكتاب ٢/ ٢٨٨ ، باب ما يحذف من أواخر الأسماء في الوقف وهي الياءات .

(٥) كذا في النسخ جميعها ، ولعلها الياء كما في الحجة ٥/ ١٣ ، وإن قصد لام الكلمة صح المعنى .

(٦) كذا في النسخ ولا يستقيم المعنى إلا أن تقدر (لم) فيكون السياق ؛ لأنه لم يوجب حذفه شيء . كما هو معنى ما في الحجة ٥/ ١٤ .

١٠. قولـه تعـالى : ﴿ سَوَآءٌ مِّنكُم مَّنْ أَسَرَّ ٱلْقَوْلَ وَمَن جَهَرَ بِهِۦ ﴾ الآية ، قال الفرَّاء[١] والزَّجَّاج[٢] : «من رفع (سواء) وكذلك الثانية وسواء يطلب اثنين تقول : سواء زيد وعمرو ، أي ذوي عدل ، ويجوز أن يكون سواء بمعنى مستوٍ ، فلا يحتاج إلى تقدير الحذف ، إلا أن سيبويه يستقبح أن يقول : مستوٍ زيد وعمرو ؛ لأن أسماء الفاعلين عنده إذا كانت نكرة لا يبدأ بها» . ذكر هذين الوجهين في (سواء) أبو إسحاق[٣] وأبو بكر[٤] ، إلا أن أبا بكر يقول : «جَعْل (سواء) بمنزلة مستوٍ أقوى وأصوب ؛ لأنه خال من الإضمار ، ومعاملة الظاهر مع السلامة من المضمرات – إذا لم يلحق المعنى نقص – أولى» .

وقوله تعالى : ﴿ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍۭ بِٱلَّيْلِ ﴾ يقال[٥] : أخفيت الشيء أخفيه إخفاءً ، فخفي واستخفى ، ويقال أيضاً : اختفى ، وهي قليلة ، واستخفى فلان من فلان ، أي توارى واستتر منه .

وقوله تعالى : ﴿ وَسَارِبٌۢ بِٱلنَّهَارِ ﴾ قال الفرَّاء[٦] ، وأبو إسحاق[٧] : «ظاهر بالنهار في سربه ؛ أي طريقه ، يقال : خَلِّ له سربه ؛ أي طريقه» ، الأزهري[٨] :

---

(١) معاني القرآن ٢/ ٥٩ .

(٢) معاني القرآن وإعرابه ٣/ ١٤١ ، والسياق كذا في النسخ جميعها وفيه سقط ، وهو عند الزَّجَّاج ـ لأن العبارة عبارته ـ كالآتي : «موضع (من) رفعٌ بسواء ، وكذلك (من) الثانية يرتفعان جميعاً بسواء ؛ لأن سواء يطلب اثنين» .

(٣) معاني القرآن وإعرابه ٣/ ١٤١ .

(٤) زاد المسير ٤/ ٣٠٩ .

(٥) تهذيب اللغة (خفى) ١/ ١٠٧٠ .

(٦) معاني القرآن ٢/ ٦٠ .

(٧) معاني القرآن وإعرابه ٣/ ١٤١ .

(٨) تهذيب اللغة (سرب) ٢/ ١٦٦٢ .

«والعـــرب تقول : سربت الإبل تَسرُب ، وسرب الفحـــل سروباً ؛ أي مضت في الأرض ظاهرة حيث شاءت» ، ومنه قوله[١] :

وَكُلُّ أُناسٍ قَارَبُوا قَيْدَ فَحْلِهِـــمْ وَنَحْـــنُ جَعَلْنَا قَيْدَهُ فَهْوَ ســـارِبُ

قال أبو إسحاق[٢] : «معنى الآية : الجاهر بنطقه والمضمر في نفسه ، والظاهر في الطرقات والمســـتخفي في الظلـــمات ، عِلْم الله فيهم ســـواء» ، ونحو هذا قال الفرَّاء[٣] .

وقال أبو العباس[٤] : «المستخفي المستتر ، والسارب الظاهر ، المعنى : الظاهر والخفي عنده واحد» .

قال ابن عباس : «يريد علم ما نطقت به الألسنة وما أضمر الفؤاد ، ومن هو مستخف بالليل وظاهر بالنهار» ، ونحو هذا قال قتادة[٥] : «سارب ظاهر» .

وقال مجاهـــد[٦] : «مســـتخف بالليل يعمل الســـوءات ، وســـارب بالنهار ويظهرها» ، وهذا التفســـير يحتاج معه إلى إضمار ، كأنه مستخف بالليل بالمعاصي

(١) هكذا البيت في النسخ جميعها ، وهو كذلك عند القرطبي ٩/ ٢٩٠ ، وفي التهذيب ٢/ ١٦٦٢ : «ونحن خلعنا قيده . .» ، وقد نسبه الأزهري للأخنس بن شـــهاب التعلبي ، وهو كذلك في اللسان (سرب) ٤/ ١٩٨٠ ، وشعراء النصرانية ١٨٧ ، وتاج العروس (سرب) ٢/ ٧٣ ، وجمهرة اللغة ٣٠٩ ، والتنبيه والإيضاح ١/ ٩٤ ، وبلا نسبة في اللسان (خلع) ٢/ ١٢٣٢ ، وكتاب العين ١/ ١١٨ ، وتاج العروس (خلع) ١١/ ١٠٣ .

(٢) معاني القرآن وإعرابه ٣/ ١٤٢ .

(٣) معاني القرآن ٢/ ٦٠ .

(٤) تهذيب اللغة (خفى) ١/ ١٠٧٠ ، واللسان (سرب) ٤/ ١٩٨٠ .

(٥) الطبري ٣٦/ ١١٤ .

(٦) القرطبي ٩/ ٢٩٠ .

وظاهـــر بالنهار بهـــا ، هذا الذي ذكرنا في هـــذه الآية ، هو قول أكثـــر أهل اللغة والتفسير[١] .

وقال الأخفش[٢] : «المســـتخفي الظاهر ، والســـارب المتواري» ، ومن هذا يقال : خفيت الشيء وأخفيته ؛ أي أظهرته ، ومنه قول امرئ القيس[٣] :

خَفَاهُنَّ مِنْ أَنْفَاقِهِنَّ . . . . . .

أي أظهرهن ، واختفيت[٤] الشيء اســـتخرجته ، ويسمى التباس المختفي ، والســـارب المتواري الداخل سراباً ، وانسراب الوحش إذا دخل في كناسه ، وهذا الوجه مذهب قطرب[٥] أيضاً ، وهو صحيح في اللغة غير أن الأول هو الاختيار ؛ لما شهد به[٦] الآثار .

---

(١) الطـــبري ١٣/ ١١٣ ، وتفســـير كتـــاب الله العزيز ٢/ ٢٩٦ ، وبحـــر العلـــوم ٢/ ١٨٦ ، وابن كثير ٢/ ٥٥٢ ، ومعاني القرآن للنحاس ٣/ ٤٧٦ ، والبحـــر ٥/ ٣٧٠ ، وفتح البيان ٧/ ٢٥ـ٢٦ ، والدر المصون ٤/ ٢٣١ .

(٢) معاني القرآن ٢/ ٥٩٥ ، وزاد المسير ٤/ ٣١٠ ، وتهذيب اللغة (خفي) ١/ ١٠٧٠ ، واللسان (سرب) ٤/ ١٩٨٠ .

(٣) جزء من صدر بيت لامرئ القيس ، والبيت بتمامه :

خَفَاهُـــنَّ مـــن أَنْفاقِهِنَّ كـــأَنَّما خَفـــاهُنَّ وَدْقٌ من سَحَـــابٍ مُـــرَكَّبِ

ديوانه ٥١ ، وفيه : «كأنما خفاهن ودق من عشي مجلب» ، والمحتسب ٢/ ٤٨ ، ومجاز القرآن ٢/ ١٧ ، والمخصص ١٠/ ٤٦ ، والقرطبي ٩/ ٢٩٠ ، وتهذيب اللغة (خفي) ١/ ١٠٧٠ ، واللسان ٢/ ١٢١٦ . وقوله : (خفاهن) ؛ أي أظهرهن . والأنفـــاق : أسراب تحت الأرض . والودق : المطر ، وخص مطر العشي ؛ لأنه أغزر . والمجلب : الذي يسمع له جلبة لشدة وقعه .

(٤) في (ب) : (واخفيت) .

(٥) زاد المسير ٤/ ٣١٠ ، واللسان (سرب) ٤/ ١٩٨٢ .

(٦) في (أ) ، (ج) : (شهدته) .

قال أبو بكر[١] : «الأوَّل أثبت معنى في الآية ؛ لأن الليل يدل على الاستتار[٢] ، والظهور يشاكل النهار لانتشار الناس فيه وبروزهم» .

١١ . قوله تعالى : ﴿ لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٌ ﴾ الآية ، المعقبات : المتَنَاوبات التي يخلف كل واحد منها صاحبه ، ويكون بدلاً منه ، وهم الملائكة الحفظة هاهنا ، في قول عامة المفسرين وأهل التأويل[٣] .

قال الفرَّاء[٤] : «المعقبات ملائكة الليل تعقب ملائكة النهار» .

قال الأزهري[٥] : «جعل الفرَّاء عقب بمعنى عاقب ، كما يقال : ضعّف وضاعف ، وعقَّد وعاقد» .

وقال أبو الهيثم[٦] : «كل من عمل عملاً ثم عاد إليه وعقب»[٧] ، ومنه قيل للذي يغزو غزواً بعد غزو ، وللذي يتقاضى الدين فيعود إلى غريمه في تقاضيه ، مُعَقب .

وقال شمّر[٨] : «المعقب من كل شيء ما خَلَفَ يُعَقَّب ما قبله ، والمعقبات الكائنات بعضها بعد ذهاب بعض» .

---

(١) الأضداد ٧٦ .

(٢) في (أ) و(ج) : (نتشار) .

(٣) الطبري ١٣/ ١١٤ ، ١١٥ ، والقرطبي ٩/ ٢٩١ ، وتفسير كتاب الله العزيز ٢/ ٢٩٦ ، والبحر ٥/ ٣٧١ ، وبحر العلوم ٢/ ١٨٧ ، وفتح البيان ٧/ ٢٦ ، ٢٧ ، ومعاني القرآن للنحاس ٣/ ٤٧٧ ، وابن كثير ٢/ ٥٥٢ ، والدر المصون ٢/ ٦٠ .

(٤) معاني القرآن ٢/ ٦٠ .

(٥) تهذيب اللغة (عقب) ٣/ ٢٥٠٥ .

(٦)]المرجع السابق .

(٧) في التهذيب : «فقد عقب» .

(٨) تهذيب اللغة (عقب) ٣/ ٢٥٠٥ .

وقال الزَّجَّاج[١] : «المعقبات ملائكة يأتي بعضهم بعقب بعض» ، قال الفرَّاء[٢] : «والمعقبات ذكران جمع ملائكة معقبة ومعقبات ، كما قيل : أبناوات سعد ورجالات بكر ، جمع رجال ، والذي يدل على التذكير قوله : ﴿يَحۡفَظُونَهُۥ﴾» ، وقال الأخفش[٣] : «إنما أنث لكثرة ذلك منها نحو : نسَّابة وعلاَّمة ، وهو ذكر» .

قال ابن عباس[٤] ، وسعيد بن جبير[٥] ، والحسن[٦] ، ومجاهد[٧] ، وقتادة[٨] وغيرهم : «المعقبات الملائكة الحفظة» ، ويدل على صحة هذا قوله ﷺ : «يتعاقب فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار ويجتمعون في صلاة الصبح وصلاة العصر» الحديث[٩] ، وعلى هذا فسر قوله : ﴿وَقُرۡءَانَ ٱلۡفَجۡرِۖ إِنَّ قُرۡءَانَ ٱلۡفَجۡرِ كَانَ مَشۡهُودٗا﴾ [الإسراء :٧٨] ، قيل تصعد ملائكة الليل وتنزل ملائكة النهار ، والكناية في قوله (له) تعود على (من) في (من أسر) وهو واقع على العموم ، وقيل : على اسم الله تعالى في عالم الغيب والشهادة ، والمعنى : لله ملائكة حفظة تتعاقب في النزول إلى الأرض من بين يدي الإنسان ومن خلفه .

---

(١) معاني القرآن وإعرابه ٣/ ١٤٢ .

(٢) معاني القرآن ٢/ ٦٠ .

(٣) معاني القرآن ٢/ ٥٩٦ ، وتهذيب اللغة (عقب) ٣/ ٢٥٠٥ .

(٤) الطبري ١٣/ ١١٥ ، وزاد المسير ٤/ ٣١٠ ، والقرطبي ٩/ ٢٩٣ ، وابن أبي حاتم ٧/ ٢٢٣٠ ، وهو قول عطاء كما في تفسيره ١١٢ .

(٥) الطبري ١٣/ ١١٧ .

(٦) الطبري ١٣/ ١١٥ ، وزاد المسير ٤/ ٣١٠ ، والقرطبي ٩/ ٢٩٣ .

(٧) الطبري ١٣/ ١١٥ ، وزاد المسير ٤/ ٣١٠ ، والقرطبي ٩/ ٢٩٣ .

(٨) الطبري ١٣/ ١١٦ ، والثعلبي ٧/ ١٢٤ب ، وزاد المسير ٤/ ٣١٠ ، والقرطبي ٩/ ٢٩٣ .

(٩) أخرجه البخاري من حديث أبي هريرة (٥٥٥) في كتاب الصلاة ، باب فضل صلاة العصر ، وأخرجه (٣٢٢٣) في كتاب بدء الخلق ، باب ذكر الملائكة ، و(٧٤٢٩) في كتاب التوحيد ، باب قوله تعالى : ﴿تَعۡرُجُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيۡهِ﴾ و(٧٤٨٦) في كتاب التوحيد ، باب كلام الرب مع جبريل ونداء الملائكة ، وأخرجه مسلم (٦٣٢) في كتاب المساجد ، باب فضل صلاة الصبح والعصر ، وأحمد من حديث أبي هريرة ٢٠/ ٥٧ (١٠٣١٤) تحقيق شاكر ، وصحح إسناده أحمد شاكر .

وقوله تعالى : ﴿يَحْفَظُونَهُۥ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ﴾ ذكر الفرَّاء[١] في هذا قولين :

أحدهما : أنه على التقديم والتأخير ، تقديره : له معقبات من أمر الله يحفظونه ، وعلى هذا لا يعلق ليحفظونه بمن ، وهو معنى قول ابن عباس[٢] في رواية سعيد في هذه الآية ، قال : «هم الملائكة ، وهم من أَمْر الله» .

والثاني : أن هذا على إضمار ؛ أي ذلك الحفظ من أمر الله ، أي مما أمر الله به ، قال ابن الأنباري : «فحذف الاسم وأبقى خبره ، كما كتب على الكيس ألفان ، يراد الذي في الكيس ألفان» ، ونحو هذا قال الزَّجَّاج[٣] ؛ لأنه قال : «المعنى : حفظهم إياه من أمر الله» .

قال أبو بكر[٤] : «وفي هذا قول آخر وهو أن مؤداه على معنى الباء ، إذ الصفات يقوم بعضها مقام بعض ، كما تقول : أجبتك من دعائك إياي ؛ أي بدعائك ، والتأويل يحفظونه بأمر الله» ، وقد صحت هذه الأقوال ، وذكرنا ما يشاكلها من قول المفسرين ، وأما كيفية حفظهم إياه ، فقال ابن عباس في رواية عكرمة[٥] : «يحفظونه من بين يديه ومن خلفه ، فإذا جاء القدر خلوا بينه وبينه» .

وروى ليث عن مجاهد[٦] قال : «ما من عبد إلا به ملك موكَّل بحفظه من الجن والإنس والهوام ، فما منهم شيء يأتيه يريده إلا قال : وراءك ، إلا شيئاً يأذن الله -عز وجل- فيه فيصيبه» .

---

(١) معاني القرآن ٢/ ٦٠ .

(٢) الطبري ١٣/ ١١٧ .

(٣) معاني القرآن وإعرابه ٣/ ١٤٢ .

(٤) الوقف والابتداء ٢/ ٧٣٣ ، والرازي ١٩/ ١٧ .

(٥) الطبري ١٣/ ١١٥ ، وعبدالرزاق ٢/ ٣٣٢ ، والفريابي وابن أبي حاتم وابن المنذر كما في الدر ٤/ ٨٩ ، وزاد المسير ٤/ ٣١٢ ، ومعاني القرآن للنحاس ٣/ ٤٧٧ .

(٦) الطبري ١٣/ ١١٦ ، وذكره في الدر ٤/ ٩١ ، والثعلبي ٧/ ١٢٥أ ، وزاد المسير ٤/ ٣١٢ .

وقال كعب[١] : «لولا أن الله -عز وجل- وكَّل بكم ملائكة يذبُّون عنكم لتخطفتكم الجن» ، فعلى هذا يحفظونه من شر الجن والهوام وما لم يُقدَّر عليه .

وقال ابن جريج[٢] : «معنى (يحفظونه) يحفظون عليه ، أي يحفظون عليه الحسنات[٣] والسيئات» .

قال أبو عبيد[٤] : «يعني : يحفظون عليه قوله وفعله»[٥] .

وقوله تعالى : ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾ أي لا يسلب قوماً نعمة حتى يعملوا بمعاصيه ، قال ابن عباس[٦] : «يريد العذر في ما بينه وبين خلقه ، ويعني بهذا أهل مكة ، كما قال : ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ بَدَّلُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا۟ قَوْمَهُمْ دَارَ ٱلْبَوَارِ﴾ [إبراهيم :٢٨]» .

وقوله تعالى : ﴿وَإِذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِقَوْمٍ سُوٓءًا﴾ قال ابن عباس[٧] : «يريد عذاباً» ، ﴿فَلَا مَرَدَّ لَهُۥ﴾ ، قال الضحاك عن ابن عباس[٨] : «لم تغن المعقبات شيئاً» ، وقال

---

(١) المراجع السابقة ، والقرطبي ٩/ ٢٩٢ .

(٢) الطبري ١٦/ ٣٧٨ ، والثعلبي ٧/ ١٢٥أ ، وزاد المسير ٤/ ٣١٢ ، والقرطبي ٩/ ٢٩٢ .

(٣) في (أ) و(ج) : (الحساب) .

(٤) انظر : معاني القرآن للنحاس ٣/ ٤٧٩ .

(٥) قلت : رجح ابن جرير -رحمه الله- قولاً في هذه الآية غير ما ذكره الواحدي ، فقال : «(له معقبات) الهاء من ذكر (من) التي في قوله : ﴿وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍۭ بِٱلَّيْلِ﴾ وأن المعقبات من بين يديه ومن خلفه هي حرسه وجلاوزته ؛ لأنها أقرب مذكور من قوله : ﴿عَـٰلِمُ ٱلْغَيْبِ﴾ ، ويدل على ذلك أيضاً قوله بعد : ﴿وَإِذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِقَوْمٍ سُوٓءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُۥ﴾ على أنهم المعنيون بذلك ، وذلك أن الله ذكر قوماً اهل معصية له ، واهل ريبة يستخفون بالليل ويظهرون بالنهار ، ويمتنعون عند أنفسهم بحرس يحرسهم ، ومنعة تمنعهم من اهل طاعته أن يحولوا بينهم وبين ما يأتون من معصية الله ، ثم أخبر أن الله -تعالى ذكره- إذا أراد بهم سوءاً لم ينفعهم حرسهم ، ولا يدفع عنهم حفظهم» اهـ . الطبري ١٣/ ١١٧ .

(٦) أخرجه أبو الشيخ عنه كما في الدر ٤/ ٩٢

(٧) زاد المسير ٤/ ٣١٢ ، والقرطبي ٩/ ٢٩٤ ، وتنوير المقباس ١٥٦ .

(٨) ابن أبي حاتم ٧/ ٢٢٣٣ .

عطاء عنه[١] : «لا رادّ لعذابي ولا ناقض لحكمي» ، ﴿ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَالٍ ﴾ يلي أمرهم ويمنع العذاب عنهم .

١٢ . قوله تعالى : ﴿ هُوَ ٱلَّذِى يُرِيكُمُ ٱلْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا ﴾ قال ابن عباس[٢] : «يريد خوفاً من الصواعق وطمعاً في المطر» ، وهذا قول الحسن[٣] .

وقال قتادة[٤] : «خوفاً للمسافر [وطمعاً للمقيم» ، وهذا قول أكثر أهل التأويل .

قال أبو إسحاق[٥] وأبو بكر : «الخوف للمسافر][٦] لما تأذَّى به من المطر ، كما قال الله تعالى : ﴿ إِن كَانَ بِكُمْ أَذًى مِّن مَّطَرٍ ﴾ [النساء :١٠٢] ، والطمع : للحاضر المقيم ؛ لأنه إذا رأى البرق طمع في المطر الذي هو سبب الخصب» .

وقوله تعالى : ﴿ وَيُنشِئُ ﴾ الإنشاء في المعنى كالاختراع وقد مر ذكره في قوله : ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَ ﴾ [الأنعام :١٤١][٧] ، قال ابن عباس[٨] : «يقول كوني فتكون» ، والسحاب الثقال : قال : «يريد تحمل المطر» ، وقال مجاهد[٩] : «ثقال بالماء» .

---

(١) انظر : فتح البيان ٧/ ٢٩ .

(٢) زاد المسير ٤/ ٣١٣ .

(٣) زاد المسير ٤/ ٣١٣ ، والقرطبي ٩/ ٢٩٥ ، وتفسير كتاب الله العزيز ٢/ ٢٩٨ .

(٤) الطبري ١٣/ ١٢٣ ، وعبدالرزاق ٢/ ٣٣ ، وابن المنذر وابن أبي حاتم وأبو الشيخ كما في الدر ٤/ ٩٤ ، وابن كثير ٤/ ٣٦٢ ، وهو مروي عن ابن عباس زاد المسير ٤/ ٣١٣ ، وتنوير المقباس ١٥٦ .

(٥) معاني القرآن وإعرابه ٣/ ١٤٢ .

(٦) ما بين المعقوفين مكرر في (أ) و(ج) .

(٧) وقال هناك ما ملخصه : «أنشأ : أبدع ، يقال : نشأ الشيء ينشأ نشأ ونشأةً ونشاءةً : إذا ظهر وارتفع» .

(٨) انظر : الثعلبي ٧/ ١٢٧ب ، وزاد المسير ٤/ ٣١٣ .

(٩) الطبري ١٣/ ١٢٤ ، وابن المنذر وابن أبي حاتم وأبو الشيخ كما في الدر ٤/ ٩٥ ، والقرطبي ٩/ ٢٩٥ .

١٣. وقوله تعالى: ﴿وَيُسَبِّحُ ٱلرَّعْدُ بِحَمْدِهِۦ﴾ الآية، روى سعيد بن جبير عن ابن عباس أن اليهود سألت رسول الله ﷺ فقالوا: أخبرنا عن الرعد ما هو؟ فقال: «الرعد ملك من ملائكة الله موكل بالسحاب، معه مخاريق يسوق بها السحاب حيث يشاء الله»، قالوا: فما الصوت الذي يسمع؟ قال: «زجره [بالسحاب إذا زجره][1] حتى ينتهي إلى حيث أُمر»، قالوا: صدقت[2].

وروى الضحاك عن ابن عباس[3]: «الرعد ملك من الملائكة اسمه الرعد، وهو الذي تسمعون صوته»، وهذا قول مجاهد[4]، وعطية[5]، وطاوس[6]، وعكرمة[7]، روى الحكم عن مجاهد قال: «الرعد صوت ملك يسبح»، وقال عكرمة: «الرعد ملك يسوق السحاب كالحادي».

وقال عطية: «الرعد ملك وهذا تسبيحه»، فعلى ما ذكرنا من هذه الأقوال، الرعد اسم للملك الموكل بالسحاب، وصوته تسبيح لله تعالى.

---

(١) ما بين المعقوفين ساقط من (ب).

(٢) أخرجه الترمذي (٣١١٧) في كتاب تفسير القرآن باب ومن سورة الرعد وقال: حديث حسن غريب، والنسائي (٩٧٠٥)، (٩٧٠٦) في الكبرى عشرة النساء، باب صفة ماء الرجل وصفة ماء المرأة، وصححه الألباني كما في صحيح الترمذي ٣/ ٦٥، وانظر: السلسلة الصحيحة: (١٨٧٢).

(٣) أخرجه ابن جرير وابن مردويه كما في الدر ٤/ ٩٦.

(٤) أخرجه عبد بن حميد، وابن جرير وأبو الشيخ كما في الدر ٤/ ٩٦.

(٥) الثعلبي ٧/ ١٢٨أ.

(٦) الطبري ١٣/ ١٢٤.

(٧) أخرجه عبد بن حميد وابن المنذر، والبيهقي في سننه كما في الدر ٤/ ٩٧، ومعاني القرآن للنحاس ٣/ ٤٨٢.

ويسمى الرعد أيضاً، يدل على هذا ما روي أن ابن عباس كان إذا سمع الرعد قال: سبحان الذي سبحت له[١]، فجائز أن يكون ما يسمعه صوته يزجر به السحاب، وله تسبيح لا نسمعه يسبح الله به، فأخبرنا الله عن ذلك، وخص هذا الملك بالإخبار عن تسبيحه لعلو صوته في أسماعنا، وعظم[٢] شأنه من قلوبنا، وهذا معنى قول الزَّجَّاج[٣]، وابن الأنباري[٤].

وذهب قوم إلى أن الرعد هو صوت السحاب، وأنه يسبح الله بعقل يجعله الله له، روى حميد بن عبدالرحمن عن شيخ أدرك النبي ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن الله ينشئ السحاب، فينطق أحسن المنطق، ويضحك أحسن الضحك»[٥] فذكر أن منطقه الرعد وأن ضحكه البرق، والعرب قد استعملت الرعد بمعنى صوت السحاب، روى الأثرم عن أبي عبيدة[٦] قال: «العرب تقول: جَوْن خزيْمٌ رعْدُه أجشُّ»، قال أبو عبيدة: «ففي هذا دليل على أن الرعد صوت السحاب، والجون هو السحاب الأسود، والأجش الذي فيه جُشَّة أي بُحّة».

---

(١) أخرجه الطبري ١٣/ ١٢٤، وأخرج أيضاً عن علي، وطاوس نحوه، ومعاني القرآن للنحاس ٣/ ٤٨٣.

(٢) في (أ) و(ج): (وعظيم بالياء).

(٣) معاني القرآن وإعرابه ٣/ ١٤٣.

(٤) زاد المسير ٤/ ٣١٤.

(٥) أخرجه أحمد ٥/ ٤٣٥، وابن أبي الدنيا في كتاب المطر، وأبو الشيخ في العظمة والبيهقي في الأسماء والصفات ٤٧٥، عن أبي ذر الغفاري كما في الدر ٤/ ٩٥، وصححه الألباني، انظر: صحيح الجامع الصغير: (١٩٢٠)، وسلسلة الأحاديث الصحيحة (١٦٦٥).

(٦) مجاز القرآن ١/ ٣٢٥.

وأنشد أحمد بن يحيى [رحمه الله][١] :

فَيا رَبْوَةَ الرَّبْعَيْنِ حُيِّيتِ رَبْوَةً

عَلى النَّأْيِ مِنَّا وَاسْتَهَلَّ بِكِ الرَّعْدُ

يريد صوَّت بك الرعد ، تصويتاً[٢] عالياً رفيعاً ، ويدل على صحة هذه الطريقة قوله : ﴿ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِۦ ﴾ فلو كان الرعد ملكاً لدخل في جملة الملائكة ، ولم يفصل منهم ، ومن قال بالقول الأوّل قال : إن الله تعالى أتى بالكل بعد البعض ، كما قال : ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِى وَٱلْقُرْءَانَ ٱلْعَظِيمَ ﴾ [الحجر :٨٧] ، فعمَّ بعد أن خَصَّ . ومن المفسرين[٣] من يقول : عنى بهؤلاء الملائكة أعوان الرعد ، جعل الله له أعواناً ، ومعنى : ﴿ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِۦ ﴾ ويسبح الملائكة من خيفة الله وخشيته . قال ابن عباس[٤] : «إنهم خائفون من الله ليس كخوف ابن آدم ، لا يعرف أحدهم من على يمينه ومن على يساره ، ولا يشغله عن عبادة الله طعام ولا شراب ولا شيء» .

وقوله تعالى : ﴿ وَيُرْسِلُ ٱلصَّوَٰعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَن يَشَآءُ ﴾ ، ذكرنا معنى الصواعق في [البقرة :١٩] .

قال المفسرون[٥] : نزلت هذه الآية في أربد وعامر بن الطفيل ، أتيا النبي ﷺ يخاصمانه ، ويريدان الفتك به ، فقال النبي ﷺ : «اللهم اكفينهما بما شئت» ،

---

(١) ليس في (ب) : [رحمه الله] . والبيت نسبه أحمد بن يحيى ليزيد بن الطثرية .
انظر : شعره ٦٦ ، والزاهر ١/ ٤٤٨ .

(٢) في نسخة (ج) : (تصويت) (أ) .

(٣) الثعلبي ٧/ ١٢٨ب .

(٤) زاد المسير ٤/ ٣١٤ ، والقرطبي ٩/ ٢٩٥ .

(٥) الطبري ١٣/ ١٢٦ ، والثعلبي ٧/ ١٢٥ب ، وزاد المسير ٤/ ٣١٤ ، والقرطبي ٩/ ٢٩٦ ، وابن كثير ٢/ ٥٥٥ .

فأرسل الله صاعقة على أربد في يوم صائف صاحٍ ، فأحرقته ، وولى عامر هارباً[١] ، وأنزل الله في ذلك : ﴿ وَيُرْسِلُ ٱلصَّوَٰعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَن يَشَآءُ ﴾ كما أصاب أربد .

قوله تعالى : ﴿ وَهُمْ يُجَٰدِلُونَ فِى ٱللَّهِ ﴾ قال أبو إسحاق[٢] : «جائز أن يكون الواو واو حالٍ ، فيكون المعنى : فيصيب بها من يشاء في حال جداله في الله ، [وذلك أن أربد جادل النبي ﷺ فقال : أخبرني عن ربنا أمن نحاس أم حديد ؟][٣] ، فأحرقته الصاعقة»[٤] ، فعلى هذا قال أبو بكر : «جمع فعله ؛ لأنه كان مع عامر

---

(١) أخرجه الطبراني في الكبير ١٠/ ٣٧٩ (١٠٦٠) ، وأبو نعيم في الدلائل ١/ ٦٦ من طريق عطاء بن يسار ، عن ابن عباس ، وضعفه الهيثمي في مجمع الزوائد ٧/ ٤١ ، وقال فيه عبدالعزيز بن عمران .

(٢) معاني القرآن وإعرابه ٣/ ١٤٣ .

(٣) ما بين المعقوفين ساقط من (ب) .

(٤) بالنسبة إلى رواية عامر وأربد أخرجها الطبري ١٣/ ١٢٦ عن ابن جريج قال : «نزلت ـ يعني قوله : ﴿ وَيُرْسِلُ ٱلصَّوَٰعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَن يَشَآءُ ﴾ ـ في أربد ، أخي لبيد بن ربيعة ؛ لأنه قدم أربد وعامر بن الطفيل بن مالك بن جعفر على النبي ﷺ ، فقال عامر : يا محمد ، أأسلم وأكون الخليفة من بعدك ؟ قال : لا . قال : فأكون على أهل الوبر وأنت على أهل المدر ؟ قال : لا . قال : فما ذاك ؟ قال : أعطيك أعنة الخيل تقاتل عليها ، فإنك رجل فارس . قال لأربد : إما أن تكفينيه وأضربه بالسيف ، وإما أن أكفيكه وتضربه بالسيف ، قال أربد : أكفنيه وأضربه ، فقال ابن الطفيل : يا محمد إني لي إليك حاجة ، قال : ادن ، فلم يزل يدنو ، ويقول النبي ﷺ : ادنُ ، حتى وضع يديه على ركبتيه وحنى عليه ، واستل أربد السيف ، فاستل منه قليلاً ، فلما رأى النبي ﷺ بريقه تعوّذ بآية كان يتعوذ بها ، فيبست يدُ أربد على السيف ، فبعث الله عليه صاعقة فأحرقته» .

وأخرجه الطبري ١٣/ ١١٩ ، ١٢٠ ، وأبو الشيخ كما في الدر ٤/ ٩٢ ـ ٩٣ ، عن ابن زيد بنحوه ، وذكر الهيثمي ٧/ ٤١ ، عن ابن عباس نحوه ، وقال : رواه الطبراني في الأوسط والكبير ، وفي إسنادهما عبدالعزيز بن عمران وهو ضعيف .

وأما الرواية الأخرى والتي فيها ما ذكره الواحدي هنا فقد وردت بألفاظ مختلفة ومنها : ما أخرجه النسائي والبزار وأبو يعلى والطبري وابن المنذر وابن أبي حاتم وأبو الشيخ والطبراني في الأوسط ، وابن مردويه والبيهقي في الدلائل ، عن أنس بن مالك ـ رضي الله عنه ـ أن رسول الله ﷺ : بعث رجلاً من أصحابه إلى رأس من رؤوس المشركين يدعوه إلى الله ، فقال المشرك : هذا الإله الذي تدعوني إليه ، أمن ذهب هو أم من فضة ، أم من نحاس ؟ فتعاظم مقالته ، فرجع إلى النبي ﷺ وأخبره ، فقال : «ارجع إليه» ، فرجع إليه فأعاد عليه القول الأول ، فرجع فأعاده الثالثة ، فبينما هما يتراجعان الكلام =

جادلا رسول الله ﷺ فهم جماعة ، وإن صرفت الجدال إلى أربد وعامر جاز ؛ لأن العرب قد توقع الجمع على الواحد وعلى التثنية» ، ومضت لذلك نظائر .

قال أبو إسحاق[١] : «وجائز أن يكون الواو استئنافاً ،كأنه لما تمم أوصاف ما يدل على قدرته ، قال بعد ذلك : ﴿ وَهُمْ يُجَٰدِلُونَ فِي ٱللَّهِ ﴾» ، قال ابن عباس[٢] : «يريد يكذبون بعظمة الله» .

= بينهما ، إذ بعث الله سحابة حيال رأسه فرعدت وأبرقت ، ووقع منها صاعقة فذهبت بقحف رأسه ، فأنزل الله تعالى : ﴿ وَيُرْسِلُ ٱلصَّوَٰعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَن يَشَآءُ ﴾ . الطبري ١٣/ ١٢٦ ، والدر المنثور ٤/ ٩٩ ، ومجمع الزوائد ٧/ ٤٢ ، وقال الهيثمي : «رواه أبو يعلى والبزار بنحوه» ، ورواه الطبراني في الأوسط ، ورجال البزار رجال الصحيح غير ديلم بن غزوان وهو ثقة ، وفي رجال ابن أبي يعلى والطبراني علي بن أبي سارة وهو ضعيف .

وقد علّق عليه أحمد شاكر بتوثيق رجاله إلا علي بن أبي سارة الشيباني ، ويقال له : علي بن محمد بن سارة ، شيخ ضعيف الحديث ، قال البخاري : «ففي حديثه نظر» ، وقال أبو داود : «ترك الناس حديثه» ، وقال ابن حبان : «غلب على روايته المناكير فاستحق الترك» ، وقال العقيلي : «علي ابن أبي سارة عن ثابت البناني ، لا يتابع عليه» ، ثم روى له عن ثابت ، عن أنس قوله تعالى : ﴿ وَيُرْسِلُ ٱلصَّوَٰعِقَ ﴾ ثم قال : «ولا يتابعه عليه إلا من هو مثله أو قريب منه» .

قال أحمد شاكر : «فهذا إسناد ضعيف جدّاً» اهـ . حاشية الطبري ١٦/ ٣٩٢ـ٣٩٣ ، وقد وردت أحاديث أخرى قريبة من هذا في الطبري ١٣/ ١٢٥ ، ١٢٦ ، والدر المنثور ٤/ ٩٩ .

فالذي يظهر لي أن الواحدي جمع بين الحديثين والله أعلم .

وقد تابعه على ذلك نقلاً عنه الرازي ١٩/ ٢٦ ، ٢٧ .

وانظر : زاد المسير ٤/ ٣١٤ ، ٣١٥ ، والبغوي ٤/ ٣٠٤ ، والكشاف ٢/ ٣٥٣ .

(١) معاني القرآن وإعرابه ٣/ ١٤٣ .

(٢) زاد المسير ٤/ ٣١٥ .

وقولــه تعالى : ﴿ وَهُوَ شَدِيدُ ٱلْمِحَالِ ﴾ قال أبو عبيــدة[١] : «المحال عند العرب المكر والعقوبة والنكال» ، وأنشد للأعشى[٢] :

فَرْعُ نَبْعٍ يَهْتَزُّ فِي غُصْنِ الْـمَجْــدِ غَزِيــرِ النَّــدَى عَظِيمِ الْمِــحَالِ

وأما الكلام في اشــتقاق هذا الحرف ، فذهب قــوم إلى أنه من الحول بمعنى الحيلة ، [ومن هذا يقال المحالة بمعنى الحيلة .

قــال ابن قتيبة[٣] في قوله : ﴿ وَهُوَ شَدِيدُ ٱلْمِحَالِ ﴾ «أي شــديد الكيد والمكر» ، قال : وأصل المحــال : الحيلة][٤] وروى هذا المعنى عن قتادة[٥] ، قال : «شــديد الحيلة والقوة» .

وروى ابــن جريج عــن ابن عباس[٦] قــال : «المحال الحــول» ، وعلى هذا القول ، إنما جاز وصف الله بالاحتيــال ؛ لأن الله تعالى معجل لعدوه في الدنيا ما يحب ، ويغيب عنه ما أعد له في الآخرة من العذاب ، فشــاكلت مماحلة الله مماحلة المخلــوق ، من جهة أن المماحل من المخلوق يضمــر لصاحبه من الشر غير الذي

---

(١) مجاز القرآن ١/ ٣٢٥ .

(٢) قلت : في مجاز القرآن ١/ ٣٢٥ «شــديد المحال» بدل «عظيم» قــال الطبري ١٣/ ١٢٧ : «هكذا كان ينشده معمر بن المثنى في ما حدثت به عن علي بن المغيرة عنه ، وأما الرواة بعد فإنهم ينشدون :

فَرْعُ نَبْعٍ يَهْتَزُّ فِي غُصُــنِ الْمَجْــدِ كَــثِيرُ الــنَّــدى شَــدِيــدُ الْمِــحَــالِ

والبيت في ديوانه ٧ ، ٩ ، والسمط ٩٠٧ ، والقرطبي ٩/ ٢٩٩ ، واللسان (محل) ٧/ ٤١٤٨ ، والزاهر ١/ ١٠٢ ، والعــين ٣/ ٢٤١ ، والبحر ٥/ ٣٥٨ ، والمحرر ٨/ ١٤٨ ، والدر المصون ٧/ ٣٢ ، ومعاني القرآن للنحاس ٣/ ٤٨٥ .

(٣) مشكل القرآن وغريبه ٢٣١ .

(٤) ما بين المعقوفين ساقط من (ج) .

(٥) الطبري ١٣/ ١٢٧ ، وعبدالرزاق ٢/ ٣٣٣ ، وابن أبي حاتم وأبو الشيخ كما في الدر ٤/ ١٠٠ .

(٦) الطبري ١٣/ ١٢٧ .

يظهر ، فمن هذه الجهة سميت باسمها ، وإن كانت مخالفها في المعنى[١] ، هذا كلام أبي بكر .

وروى عباد بن منصور عن الحسن[٢] في قوله : ﴿ شَدِيدُ ٱلْمِحَالِ ﴾ قال : «شديد الحقد» ، قال أبو بكر : «وهذا على ما بينا من أن غضب الله لما استسر[٣] عن المغضوب عليه المعد له ، أشبه حقد المخلوق الذي يستر في نفسه ، إلى أن المخلوق ينزعج ويتأذى[٤] عند الحقد والغضب ، والله قد علا عن جميع هذا علوّاً كبيراً» .

قال الأزهري[٥] : «قول القتبي[٦] : أصل المحال الحيلة ، غلط فاحش ، وأحسبه توهم أن ميم المحال ميم مِفْعَل ، وأنها زائدة ، وليس الأمر كما توهمه ؛ لأن[٧] مِفْعلاً إذا كان من بنات الثلاثة ، فإنه يجيء بإظهار الياء الواو مثل : المِزَوَد ، والمِجْوَل ، والمِحْوَر ، والمِزْيل ، وما شاكلها ، وإذا رأيت الحروف على مثال فعال ، أوله ميم مكسورة فهي أصلية ، مثل : ميم مهاد ومِلاك ومِراس ، وما أشبهها» .

قال الفرَّاء[٨] في كتاب المصادر : «المحال : المماحلة ، يقال في فعلت منه : محلت أَمْحَلَ مَحْـلًا ، والمِحَال المصدر لفعلت فعالاً ، وأما المحالة فهي مفعلة من الحيلة» ، قال الأزهري : «وهذا صحيح كما قاله» ، وقال أبو إسحاق[٩] : «يقال : ماحلته

---

(١) انظر منهجه في : آيات العقيدة ، وقوله : «وإن كانت مخالفها» كذا في النسخ جميعها ولعلها : مخالفتها .
(٢) زاد المسير ٤/ ٣١٦ ، وأخرجه أبو الشيخ عن عكرمة كما في الدر ٤/ ١٠٠ .
(٣) في (ج) : (اسْتَتَرَ) .
(٤) في (ب) و(ج) : (وينادي) .
(٥) تهذيب اللغة (محل) ٤/ ٣٣٥٣ .
(٦) (أ) و(ج) : (القيس) .
(٧) في (أ) و(ج) : (أن) .
(٨) تهذيب اللغة (محل) ٤/ ٣٣٥٣ .
(٩) معاني القرآن وإعرابه ٣/ ١٤٣ .

محـــالاً ، إذا قاويته حتى يبين لك أيكما أشـــد ، والمحل في اللغة الشـّدة» ، وروى اللحياني عن الكسائي[١] : «يقال مَحِّلني يا فلان ، أي قوني» .

قال الأزهري : «ويقول : الله شديد المحال منه ؛ أي شديد القوة ، أما ما روي عن ابن عباس ، المحال : الحول» .

قال أبو عبيد : «ولم يعتد بفتح الميم ولا كسرها» ، قال : «وهذا التفسير يوجب فتح الميم ؛ لأن المحالة والمحال هما الحول» ، وأنشد[٢] :

ما لِلرِّجَالِ مَعَ القَضَاءِ مَحَـالَـــةٌ ذَهَـــبَ الــقَضَاءُ بِحِيلَةِ الْأَقْوَامِ

وأما قولهم[٣] : تَمَحَّلـــت مالاً لغريمي ، فإن بعض النـــاس ذهب إلى أنه من إمحالة بمعنى الحيلة ، جعلت الميم في تمحلـــت كالأصلية مثل : تمكنت من المكان وأصله من الكون .

قـــال الأزهري[٤] : «وليس التمحل عندي من هـــذا ، ولكنه من المحل وهو السعي ، والماحل الساعي ، كأنه سعى في طلبه ، ويتصرف فيه» .

وقال مجاهد[٥] : «المحال القوة» ، وقال نابغة بني شيبان[٦] :

إنَّ مَنْ يَرْكَبُ الفَوَاحِشَ سِـــرًّا حـــينَ يَخْلُـــو بِسِرِّهِ غَيْرُ خَـــالِ

كَـيْـفَ يَـخْلُو وَعِنْدَهُ كاتِبَاهُ شَـــاهِدَاهُ ورَبُّـــهُ ذو الـــمِحَالِ

(١) تهذيب اللغة (محل) ٣/ ٣٣٥٣ .
(٢) نسبه في الزاهر ١/ ١٠١ لبعض بني أسد .
(٣) تهذيب اللغة (محل) ٤/ ٣٣٥٣ .
(٤) المرجع السابق .
(٥) الطبري ١٣/ ١٢٧ .
(٦) ديوانه ٦٤ ، والزاهر ١/ ١٠٢ .

وقال عبد المطلب بن هاشم[١] :

لاهُمَّ إنَّ الْـمَرْءَ يَـمْـنَعُ رَحْلَهُ فَامْنَعْ حِلالَكْ

لا يَغْـلِـبَنَّ صَلِيبُهُمْ وَمِحَالُهُمْ عَدَداً مِـحَـالَكْ

قال ابـــن الأنباري[٢] : «أراد لا يغلبن مكرهم مكرك» ، وروى الضحاك عن ابن عباس[٣] في هذه الآية : «شديد المكر» ، فإن قلنا : إن المحال معناه القوة ، فهو ظاهر ، والميم فاء ، وإن قلنا : معناه المكر والحيلة ، كان الميم أيضاً أصلية ، ويكون المماحلة بمعنى المماكرة والاحتيال .

١٤. قولـــه تعـــالى : ﴿ لَهُۥ دَعۡوَةُ ٱلۡحَقِّۖ ﴾ الآيـــة ، أكثر المفسرين عـــلى أن المراد بدعـــوة الحق هاهنا كلمـــة التوحيد والإخـــلاص ، روى عكرمة عن ابن عبـــاس[٤] : ﴿ لَهُۥ دَعۡوَةُ ٱلۡحَقِّۖ ﴾ قال : «لا إلـــه إلا الله» ، وهذا اختيار الفرَّاء[٥] ، والزَّجَّاج[٦] .

---

(١) انظر : ســيرة ابن هشـــام ١/ ٥١ ، وتاريخ الطبري ٢/ ١٣٥ ، والزاهر ١/ ١٠١ ، والمحرر ٨/ ١٤٨ ، والبحر ٥/ ٣٥٨ ، والدر المصون ٧/ ٣٢ ، واللسان (محل) ٧/ ٤١٤٨ .

(٢) الزاهر ١/ ٩ ، ١٠ .

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم وأبو الشيخ كما في الدر ٤/ ١٠٠ ، وزاد المسير ٤/ ٣١٦ .

(٤) عبدالـــرزاق ٢/ ٣٣٤ ، والطـــبري ١٣/ ١٢٧ ، والفريابي ، وابن المنذر وابن أبي حاتم وأبو الشـــيخ ، والبيهقي في الأســـماء والصفات كما في الدر ٤/ ١٠٠ ، والثعلبي ٧/ ١٢٩ب ، والقرطبي ٩/ ٣٠٠ ، ومعاني القرآن للنحاس ٤/ ٤٨٥ .

(٥) في (ب) زيادة هاهنا : [فمن دعاه دعا الحق] .

(٦) معاني القرآن ٢/ ٦١ .

وهو قول قتادة[١] ، وابن زيد[٢] ، والمعنى على هذا : لله من خلقه الدعوة الحق ، ولكن أضيفت الدعوة إلى الحق لما اختلف اللفظان ، وقد ذكرنا مثل هذا ، ويجوز أن يكون المعنى : دعوة الدين الحق ، وقال الحسن[٣] : «الله الحق» ، وقال في رواية عطاء والضحاك : ﴿ لَهُۥ دَعْوَةُ ٱلْحَقِّ ﴾ معناه : هو الذي دعا إلى توحيده والاعتراف بأنه لا شريك له ، وتفسير دعوة الحق[٤] على هذا القول : له دعاء الحق ؛ لأنه دعاء إلى [عبادته وتوحيده][٥] ، وكان ذلك حقّاً .

قال أبو إسحاق : «وجائز أن يكون (دعوة الحق) ، أنه من دعا الله موحداً استجيب له دعاه» .

قال أبو بكر : «الدعوة على هذا التفسير يريد بها الدعوات فاكتفي من الجمع بالواحد ، كقوله : ﴿ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَعْدَ ذَٰلِكَ ظَهِيرٌ ﴾ [التحريم :٤]» ، ومعنى الدعوات : دعوات الداعين إياه ، يلتمسون الإجابة وهم محقون في ذلك لأنهم سألوا من لا يخيب سائله ويقدر على الإجابة ، وإنالة المطلوب ، وهذا هو الوجه ؛ وهو الأليق بما بعده من سياق الآية ؛ لأنه ذكر أن الأصنام لا يستجيبون للداعين ، فقال : ﴿ وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ ﴾ يعني الأصنام ، يدعونها المشركون من دون الله ، في قول جميع المفسرين[٦] ، وعبّر عنها كما يعبر عن المذكرين من العقلاء ؛ لأنهم وصفوا

---

(١) معاني القرآن وإعرابه ٣/ ١٤٣ .

(٢) الطبري ١٣/ ١٢٨ ، والقرطبي ٩/ ٣٠٠ ، وعبدالرزاق ٢/ ٣٣٤ .

(٣) زاد المسير ٤/ ٣١٧ ، والقرطبي ٩/ ٣٠٠ .

(٤) هنا تكرار في (ب) لما سبق فقال : «معناه هو الذي دعا إلى توحيد والاعتراف بأنه لا شريك وتفسير دعوة الحق» .

(٥) في (أ) و(ج) : (عادته وتوحده) .

(٦) الطبري ١٣/ ١٢٨ ، والثعلبي ٧/ ١٢٩ب ، وزاد المسير ٤/ ٣١٧ ، وابن كثير ٢/ ٥٥٦ ، والقرطبي ٩/ ٣٠٠ .

أصنامهم بأوصاف الرجال العقلاء ، فخاطبهم الله بما يعقلون وقد ذكرنا هذا عند قوله : ﴿ أَلَهُمْ أَرْجُلٌ ﴾ [الأعراف :١٩٥] .

وقوله تعالى : ﴿ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُم بِشَيْءٍ ﴾ قال ابن عباس : «يريد ليس لهم[١] ثواب ، يعني للداعين إياه ، لا ثواب لهم عندها» ، وقوله تعالى : ﴿ إِلَّا كَبَاسِطِ كَفَّيْهِ إِلَى الْمَاءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ ﴾ فُسِّر هذا على ثلاثة أوجه ، قال مجاهد[٢] : «يدعو الماء بلسانه ويشير إليه بيده ؛ فلا يأتيه أبداً» ، وهو اختيار أبي إسحاق[٣] ؛ لأنه قال معناه : «إلا كما يستجاب للذي يبسط كفيه إلى الماء ، يدعو الماء إلى فيه ، والماء لا يستجيب» ، فأعلم الله أن دعاءهم الأصنام كدعاء العطشان الماء إلى بلوغ فيه .

﴿ وَمَا هُوَ بِبَالِغِهِ ﴾ وما الماء ببالغ فاه ، بدعوته إياه ، والتقدير : إلا كاستجابة باسط كفيه ، ويكون المصدر مضافاً إلى المفعول ثم حذف المضاف . الوجه الثاني من التفسير هو مذهب الكلبي[٤] وغيره ، قال : «كماد يده إلى الماء من مكان بعيد وهو مشرف على ذلك الماء فلا يبلغه ، ولا يبلغ الماء فاه» ، وقال عطاء[٥] : «كالرجل العطشان الجالس على شفير البئر يمد يده إلى البئر فلا يبلغ قعر البئر ، والماء لا يرتفع إلى يده» ، وهذا الوجه اختيار الفرَّاء[٦] ، قال : «يعني أن الأصنام لا تجيب داعيها بشيء إلا كما ينال الظمآن المشرف على ماء ليس معه ما يستقي به» . فذلك قوله : ﴿ إِلَّا كَبَاسِطِ كَفَّيْهِ إِلَى الْمَاءِ ﴾ وهذا الوجه كالأوّل ، إلا أن في الوجه

---

(١) (لهم) ساقط من (أ) و(ج) .

(٢) الطبري ١٣/ ١٢٩ ، والثعلبي ٧/ ١٢٩ب ، وابن المنذر وابن أبي حاتم كما في الدر ٤/ ١٠١ .

(٣) معاني القرآن وإعرابه ٣/ ١٤٤ .

(٤) تنوير المقباس ١٥٦ .

(٥) زاد المسير ٤/ ٣١٧ ، ورواه الطبري ١٣/ ١٢٩ عن علي رضي الله عنه ، وأخرجه أبو عبيد وابن المنذر وابن أبي حاتم وأبو الشيخ عن عطاء كما في الدر ٤/ ١٠١ ، والثعلبي ٧/ ١٢٩ب .

(٦) معاني القرآن ٢/ ٦١ .

الأوّل شبهوا بمن يدعو الماء البعيد إلى نفسه والماء لا يستجيب ، وفي الوجه الثاني شبهوا بمن يمد يده إلى الماء البعيد ليناله من غير آلة .

الوجه الثالث : هو مذهب أبي عبيد[١] وابن قتيبة[٢] ، وهو أن العرب يضربون المثل لمن سعى[٣] في ما لا يدركه ، وتعاطى ما لا يجد منه شيئاً ، بالقابض على الماء ، وذلك أن القابض على الماء لا يحصل في يده منه شيء ، المعنى لا يصير في أيديهم إذا دعوهم إلا ما يصير في يدي من قبض على الماء ليبلغ فاه ، وأنشد أبو عبيدة قول ضابئ البُرْجُمِيِّ[٤] :

فَإِنِّي وَإِيَّاكُمْ وَشَوْقاً إِلَيْكُمُ كَقَابِضِ مَاءٍ تَسْتَقِيهِ أَنَامِلُهْ

قال أبو عبيدة : «تسقه : تجبه» .

وقال ابن الأنباري : «يجمعه ويسقه يحمله» ، وأنشد أيضاً[٥] :

فَأَصْبَحْتُ مِمّا كانَ بَيْني وَبَيْنَهـا مِنَ الوُدِّ مِثْلَ القَابِضِ السَمَاءَ بِاليَدِ

---

(١) مجاز القرآن ١/ ٣٢٧ .

(٢) مشكل القرآن وغريبه لابن قتيبة ٢٣١ .

(٣) في (أ) و(ج) : (يبتغي) .

(٤) في مجاز القرآن ١/ ٣٢٧ ، تقدمت ترجمته ، وفيه (تسقيه) من غير تاء ، وانظر : مقاييس اللغة ٦/ ١٠٩ ، والخزانة ٤/ ٨٠ ، ومشكل القرآن وغريبه ٢٣١ ، والطبري ١٣/ ١٢٩ ، والقرطبي ٩/ ٣٠١ ، وطبقات فحول الشعراء ١٤٥ ، وتاريخ الطبري ٥/ ١٣٧ ، ٧/ ٢١٣ ، واللسان (وسق) ٨/ ٤٨٣٦ . والبيت من قصيدة له في السجن ، وكان أعد حديدة يريد أن يغتال بها عثمان بن عفان رضي الله عنه ، وقوله : (لم تسقه) من (وسقت الشيء أسقه وسقاً) إذا حملته .

(٥) البيت للأحوص بن محمد الأنصاري في مجاز القرآن ١/ ٣٢٧ ، والطبري ١٣/ ١٢٩ ، والقرطبي ٩/ ٣٠٠ (فأصبحت) .

قال ابن قتيبة : «وهذا من الاختصار ؛ لأن التقدير : إلا كباسط كفيه إلى الماء ليقبض عليه ، أو قابضاً عليه ليبلغ فاه» .

وقوله تعالى : ﴿ وَمَا هُوَ بِبَٰلِغِهِۦ ۚ وَمَا دُعَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ ﴾ قال ابن عباس في رواية عطاء[١] : «يريد عبادة الكافرين الأصنام في ضلال» ، وروى جويبر[٢] : «وما دعاء الكافرين ربهم إلا في ضلال ؛ لأن أصواتهم محجوبة عن الله» ، وهذا التفسير لا يليق بما سبق من الآية ؛ لأنه ذكر في الآية دعاء الكافرين الأصنام ، وهو قوله : ﴿ وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ ﴾ ، والذم لاحق بذلك الدعاء ، وهو دعاهم إياها ، ولم يذكر دعاهم الله تعالى ، وجويبر ضعيف ، والصحيح ما ذكرنا في رواية عطاء ، ولعل ما رواه جويبر ، رواه في نظير هذه الآية في سورة المؤمن : ﴿وَمَا دُعَٰٓؤُا۟ ٱلْكَٰفِرِينَ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ ﴾ [غافر :٥٠] ، وذلك صحيح المعنى في تلك السورة[٣] .

١٥. قوله تعالى : ﴿ وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا ﴾ قال المفسرون : المؤمنون والملائكة يسجدون لله تعالى طوعاً ، والكافر يسجد كرهاً بالسيف ، وهذا معنى قول الحسن[٤] ، وقتادة[٥] ، وابن زيد[٦] ، ونحو هذا قال الفرَّاء[٧] : «الساجد طوعاً من أهل السموات والأرض : الملائكة ، ومن دخل في الإسلام رغبة[٨] فيه أو ولد عليه ، ومن أكره على الإسلام فهو يسجد كرهاً» ، وهذا القدر لا

---

(١) تنوير المقباس ١٥٦ .

(٢) الثعلبي ٧/ ١٣٠أ ، وزاد المسير ٤/ ٣١٨ ، والقرطبي ٩/ ٣٠١ .

(٣) ما رجحه الواحدي هو الصحيح والمناسب لسياق الآية ، وهو الذي ذهب إليه الطبري ١٣/ ١٣١ ، والثعلبي ٧/ ١٣٠أ ، ومقاتل كما في زاد المسير ٤/ ٣١٨ ، وابن كثير ٢/ ٥٥٧ ، والقرطبي ٩/ ٣٠١ .

(٤) أخرج أبو الشيخ نحوه كما في الدر ٤/ ١٠٢ ، والقرطبي ٩/ ٣٠١ .

(٥) الطبري ١٣/ ١٣١ ، وابن أبي حاتم وأبو الشيخ كما في الدر ٤/ ١٠٢ ، والقرطبي ٩/ ٣٠١ .

(٦) الطبري ١٣/ ١٣١ ، وزاد المسير ٤/ ٣١٨ .

(٧) معاني القرآن ٢/ ٦١ .

(٨) في (ب) : (ورغبة) بزيادة واو .

يفتح معنى الآية ؛ لأن قوله : ﴿ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ يقع على كل من في الأرض من البشر ، وليس جميع الكفار يسجدون كرهاً .

واختلفوا في توجيه هذا ، فذهب بعضهم إلى التخصيص ، حكى ابن الأنباري عن بعض أهل العلم[١] قال : الملائكة وعباد الله الصالحون يسجدون لله طوعاً ، والكافرون والمنافقون يسجدون خوف القتل ، وقلوبهم تنطوي على الكفر ، فعلى هذا يراد بقوله : ﴿ وَكَرْهًا ﴾ من يسجد لله كرهاً من خوف السيف لا جميع الكفار ، من العموم الذي دخله الخصوص ، وعليه دل كلام الفرَّاء ؛ لأنه قال : «ومن أكره[٢] على الإسلام فهو يسجد كرهاً» ، ومن المفسرين من ذهب إلى أن الكره أيضاً من صفة المؤمنين ، يسجد لله طوعاً بسهولة ونشاط ، ومن المسلمين من يسجد لله كرهاً ، لصعوبة ذلك عليه وإكراهه نفسه على أدائه ، وهو في ذلك مسلم يحمل نفسه على الطاعة ، ويجذبها إلى الحق ، وهو يقبل عليها .

وقال آخرون : يسجد المخلصون لله طوعاً ، وبعض المسلمين كرهاً في ابتداء أمره ، إلى أن يألف الحق ، فعلى هذا لا مدخل للكافرين في الآية ، هذا الذي ذكرنا طريقة التخصيص إما بالمسلمين وبعض الكفار ، وإما بالمسلمين فقط .

ومن المفسرين من أجراها[٣] على العموم فقال : المعنى ، على ما ذكره المفسرون ، أن السجود واجب لله تعالى ، فالمؤمن يفعله طوعاً ، والكافر يؤخذ بالسجود كرهاً ، أي هكذا الحكم في وجوب السجود لله جل وعزّ ، فعلى هذا قوله : ﴿ يَسْجُدُ ﴾ المراد به الإخبار عمن يسجد طوعاً ، وأمر بالإكراه على السجود في حكم الكافر ، كأنه قال يؤخذون بالسجود كرهاً ، ويكرهون عليه ، وهذا[٤]

---

(١) قال بهذا القول الثعلبي ٧/ ١٣٠أ ، والطبري ١٣/ ١٣١ ، وهذا الراجح والله أعلم .

(٢) في (أ) : (أكر) بغير هاء .

(٣) في (ب) : (أجرها) من غير ألف .

(٤) (وهذا) ساقط من (أ) و(ج) .

مستبعد من حيث اللفظ . ولأصحاب المعاني في الآية طريقة أخرى ، وهو أنهم قالوا[١] : سجود الكافر هو تذلُّله وانقياده لتصريف الله تعالى إياه في ما يريد من عافية إلى مرض ، وغنى إلى فقر ، وحياة إلى موت ، ومعنى السجود الخضوع والتذلل والانقياد ، والكافر لا يمتنع من هذا ، فهو في حكم الساجد من هذا الوجه ؛ أي المسخّر المنقَاد والمذلَّل ، كما تقول في سجود الجماد ، ونظير هذه الآية قوله تعالى : ﴿ بَلْ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ كُلٌّ لَّهُۥ قَٰنِتُونَ ﴾ [البقرة :١١٦] ، وقوله : ﴿ وَلَهُۥٓ أَسْلَمَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴾ [آل عمران :٨٣] ، ومضى الكلام في الآيتين .

وقوله تعالى : ﴿ وَظِلَٰلُهُم بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْءَاصَالِ ﴾ الكلام في تفسير هذه الألفاظ قد سبق[٢] ، وأما المعنى فقال المفسرون : كل شخص مؤمن أو كافر ، فإنه يسجد لله تعالى . قال مجاهد[٣] : «ظِلُّ المؤمن يسجد طوعاً وهو طائع ، وظل الكافر يسجد طوعاً وهو كاره» . وقال أبو إسحاق[٤] : «جاء في التفسير أن الكافر يسجد لغير الله ، وظله يسجد لله» ، فعلى هذا قال ابن الأنباري[٥] : «يُجْعل للظلال عقول تسجد بها وتخشع ، كما جُعل للجبال أفهام حتى خاطبت وخوطبت» ، قال : «على هذا بنى أكثر أهل التفسير» .

---

(١) زاد المسير ٤/ ٣١٩ .

(٢) عند قوله تعالى : ﴿ وَدُونَ ٱلْجَهْرِ مِنَ ٱلْقَوْلِ بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْءَاصَالِ ﴾ [الأعراف :٢٠٥] .

(٣) الطبري ١٣/ ١٣١ ، وابن المنذر كما في الدر ٤/ ١٠١ ، والثعلبي ٧/ ١٣٠أ ، والقرطبي ٩/ ٣٠٢ .

(٤) معاني القرآن وإعرابه ٣/ ١٤٤ .

(٥) القرطبي ٩/ ٣٠٢ ، والرازي ١٩/ ٢٥ ، والبحر ٦/ ٣٦٩ .

وقال أهل المعاني : سجود الظلال ميلانها ودورانها من جانبها إلى جانب ، وطولها بانحطاط الشمس ، وقصرها بارتفاع الشمس فهي مستسلمة منقادة ، مطيعة بالتسخير ، وهي في ذلك تميل من جانب إلى جانب ، والميل سجود في اللغة ، يقال : سجدت النخلة ، إذا مالت[1] لكثرة حملها ، قال لبيد يصف نخلاً[2] :

غُلْبٌ سَوَاجِدُ لَمْ يَدْخُلْ بِها الحَصَرُ

فسجود الظلال تمايلها واستسلامها وانقيادها للتسخير ، كأنه قيل : وظلالهم بالغدو والآصال مستسلمة ، ودل على هذا قوله : ﴿ وَلِلَّهِ يَسْجُدُ ﴾ .

١٦ . قوله تعالى : ﴿ قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ قُلِ ٱللَّهُ ﴾ الآية ، السؤال والجواب جاء من ناحية واحدة ، كقوله تعالى : ﴿ قُلْ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ﴾ [يونس :٣٤] الآية ، وذلك أن الكفار لا ينكرون أن الله خالق السموات والأرض والمخلوقات ، لقوله : ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ﴾ [الزخرف :٨٧] ، وقوله تعالى : ﴿ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ [يونس :٣١] إلى قوله : ﴿ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ ﴾ ، فإذا أجاب النبي ﷺ عن هذا السؤال بقوله : الله ، لم ينكروا هم ذلك ، ويصير كأنهم قالوا ذلك ، ثم ألزمهم الحجة ، فقال : ﴿ قُلِ ٱللَّهُ ۗ قُلْ أَفَٱتَّخَذْتُم مِّن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ ﴾ قال ابن عباس : «يريد توليتم غير رب السماء والأرض» ، والولي النصير ، والذي يتولى النصرى ، كأنه قال أفتخذتم من دونه أنصاراً ، يعني : الأصنام لا يملكون لأنفسهم ضرًّا ولا نفعاً ، فكيف لغيرهم .

---

(١) مكرر في (أ) و(ج) .

(٢) عجز بيت ، وصدره :

بينَ الصفَّا وخليجِ العَين ساكنةٌ

ديوانه ٦٠ ، وتاج العروس (سجد) ٥/ ٧ ، وتأويل مشكل القرآن ٤١٦ ، واللسان (سجد) ٤/ ١٩٤١ ، وتهذيب اللغة (سجد) ٢/ ١٦٣١ ، والمخصص ١١/ ١١٣ .

ثم ضرب مثلاً للذي يعبد الأوثان ، وللذي يعبد الله تعالى : فقال : ﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ ﴾ قال ابن عباس[١] : «يريد المشرك والمؤمن» ، ﴿ أَمْ هَلْ تَسْتَوِي ٱلظُّلُمَٰتُ وَٱلنُّورُ ﴾ قال : «يريد الشرك والإيمان» ، وقرأه أكثر القراء[٢] (تستوي) بالتاء ؛ لأن الظلمات جمع ، ولا حائل بينهما وبين الفعل ، ومن قرأ بالياء فلتقدم الفعل مع التأنيث في الظلمات غير حقيقي .

وقوله تعالى : ﴿ أَمْ جَعَلُوا۟ لِلَّهِ شُرَكَآءَ ﴾ إلى قوله : ﴿ عَلَيْهِمْ ﴾ ، قال ابن عباس[٣] : «معناه أجعلوا لله شركاء خلقوا سموات وأرضين وجنّاً وإنساً ، فتشابه الخلق عليهم من هذا الوجه ؟»وقال أبو إسحاق[٤] : «أي هل رأوا غير الله خلق شيئاً ، فاشتبه عليهم خلق الله من خلق غيره ؟»

وقال ابن الأنباري[٥] : «تلخيص هذه الآية : وبخهم ، أجعلوا لله شركاء خلقوا مثل ما خلق الله ، فتشابه خلق الشركاء بخلق الله عندهم ؟ وهذا الاستفهام إنكار لذلك ؛ أي ليس الأمر على هذا حتى يشبه الأمر ، بل إذا فكروا بعقولهم وجدوا الله هو المنفرد بالخلق ، وسائر الشركاء لا يخلقون خلقاً يتشابه بخلق الله ، وإذا كانوا بهذه الصفة ألزمتهم الحجة» .

---

(١) تنوير المقباس ١٥٦ ، وزاد المسير ٤/ ٣٢٠ ، والقرطبي ٩/ ٣٠٣ ، وأبو الشيخ كما في الدر ٤/ ١٠٢ ، وأخرج الطبري ١٣/ ١٣٣ عن مجاهد نحوه .

(٢) قرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو وابن عامر وحفص عن عاصم (تستوي) بالتاء ، وقرأ أبو بكر عن عاصم وحمزة والكسائي (يستوي) بالياء .
انظر : السبعة ٣٥٨ ، والإتحاف ٢٧٠ ، وزاد المسير ٤/ ٣٢٠ ، والقرطبي ٩/ ٣٠٣ .

(٣) تنوير المقباس ١٥٦ نحوه وأخرج ابن أبي شيبة ، والطبري ١٣/ ١٣٣ وابن المنذر وابن أبي حاتم وأبو الشيخ عن مجاهد نحوه . الدر ٤/ ١٠٣

(٤) معاني القرآن وإعرابه ٣/ ١٤٤ .

(٥) زاد المسير ٤/ ٣٢٠ .

وقوله تعالى : ﴿ قُلِ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ ﴾ ، قال الزَّجَّاج[١] : «أي قل ذلك وبيّنه بما أخبر به من الدلالة على توحيده ، من أول هذه السورة ، مما يدل على أنه خالق كل شيء» .

قال أصحابنا[٢] : «معناه : أنه خالق كل شيء مما يصح أن يكون مخلوقاً ، ألا ترى أنه شيء وهو غير مخلوق» .

وقال الشافعي[٣] في هذا : «إنه من العموم الذي لم يدخله الخصوص» ، يعني أنه لما ذكر لفظ الخالق ، علم أن عمومه بالمخلوقات ، وإذا كان كذلك لم يدخله خصوص ؛ لأنه لا مخلوق إلا وهو خالقه ، ولما شبه المؤمن والكافر ، والإيمان والكفر مثلاً .

١٧ . فقال : ﴿ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَسَالَتۡ أَوۡدِيَةُۢ ﴾ وهي جمع وادٍ ، وهو كل مفرج بين جبال وآكام وتلال . يجتمع إليه ماء المطر فيسيل فيه ، هذا قول عامة أهل اللغة[٤] في معنى الوادي ، وقال شمر[٥] : «ودي : إذا سال» ، قال : «ومنه الوَدْي في ما أرى ، لخروجه وسيلانه ، ومنه الوادي» ، وعلى هذا الوادي اسم للماء السائل ، كالسيل[٦] ، والقول هو الأول .

---

(١) معاني القرآن وإعرابه ٣/ ١٤٥ .

(٢) المراد بأصحابه هنا الأشاعرة . وما ذكره في معنى الآية صحيح ، كما هو قول اهل السنة ، وهو رد على المعتزلة المستدلين بالآية على أن القرآن مخلوق . وعلى أن أفعال العباد مخلوقة .

(٣) الأم ٧/ ٤٦٢ .

(٤) تهذيب اللغة (ودي) ٤/ ٣٨٦٥ ، واللسان (ودي) ٨/ ٤٨٠٣ .

(٥) تهذيب اللغة (ودي) ٤/ ٣٨٦٥ .

(٦) (كالسيل) ساقط من (ج) .

قال أبو علي الفارسي[١] : «﴿ فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌۢ ﴾ اتساع ، والمراد في (سال الوادي ، وجرى النهر) ماؤهما ، فحذف المضاف» . قال : «والأودية جمع نادر في فاعل ، ولا يعلم فاعلاً جمع على أفعلة ، ويشبه أن يكون ذلك ، ليتعاقب فاعل وفعيل على الشيء الواحد ، كعالم وعليم ، وشاهد وشهيد ، ووال ووليّ ، ألا ترى أنهم جمعوا فاعلاً أيضاً على فعلاء ، كشاعر وشعراء ، مثل فقيه وفقهاء ، فجعلوا فاعلاً كفعيل في التكسير ، كجريب وأجربة ، وقالوا : يتيم وأيتام ، وشريف وأشراف ، كما قالوا : صاحب وأصحاب وطائر وأطيار ، فلذلك جمع وادٍ على أودية»[٢] .

وقال غيره : نظير واد وأودية ، ناد وأندية للمجالس .

وقوله تعالى : ﴿ بِقَدَرِهَا ﴾ القَدَر والقَدْر ، مبلغ الشيء يقال : كم قَدْر هذه الدراهم ؟ وقدرها ومقدارها ، أي كم[٣] تبلغ من الوزن في ما يكون مساوياً لها من الوزن فهو قدرها ، وذكرنا الكلام في القَدَر والقدْر في قوله : ﴿ عَلَى ٱلْمُوسِعِ قَدَرُهُۥ وَعَلَى ٱلْمُقْتِرِ قَدَرُهُۥ ﴾ [البقرة :٢٣٦] وفي مواضع .

قال مجاهد[٤] : «بقدر مَلئها» .

وقال ابن جريج[٥] : «الصغير بِقَدْرِه ، والكبير بِقَدَرِه» .

---

(١) الحجة ٢/ ٣٤٠ (بتصرف) .

(٢) إلى هنا انتهى النقل عن الحجة ٢/ ٣٤٠ بتصرف .

(٣) في (ب) : (لم) . ولعله خطأ .

(٤) الطبري ١٣/ ١٣٦ ، وأبو عبيد وابن أبي شيبة وابن المنذر وابن أبي حاتم وأبو الشيخ كما في الدر ٤/ ١٠٥ ، القرطبي ٩/ ٣٠٥ .

(٥) الطبري ١٣/ ١٣٧ ، وابن جريج عن ابن عباس ، القرطبي ٩/ ٣٠٥ ، وأخرجه ابن المنذر وابن أبي حاتم وأبو الشيخ عن ابن عباس كما في الدر ٤/ ١٠٣ .

وقال ابن الأنباري والزَّجَّاج[١] : «(بقدرها) بما قدر[٢] يملأها» ، قالا : «ويجوز بمقدار ما يملأها» ، وقد فُهم من قوله : القَدْر هاهنا يجوز أن يكون مصدراً فيكون المعنى : بما قدر لها من ملئها ، ويجوز أن يكون المعنى : بقدر ملئها ، وتلخيص معنى قوله : ﴿ فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌۢ بِقَدَرِهَا ﴾ ، بقدرها من الماء ؛ لأن القدر معناه الهنداز[٣] ، فإن صغر الوادي قل الماء ، وإن اتسع الوادي كثر .

قال أبو علي[٤] : «المعنى بقدر مياهها ، ألا ترى أن المعنى ليس على أن الأودية سالت بقدر أنفسها ؟» .

قال ابن عباس في رواية عطاء[٥] : «﴿ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً ﴾ يريد قرآناً ، وهو مثل ضربه الله» ، ﴿ فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌۢ بِقَدَرِهَا ﴾ قال : «يريد بالأودية قلوب العباد» ، قال ابن الأنباري : «شبه نزول القرآن الجامع للهدى والبيان بنزول المطر ؛ إذ نفع نزول القرآن يعم كعموم نفع نزول المطر ، وشبه الأودية بالقلوب ؛ إذ الأودية يستكن فيه الماء كما يستكن الإيمان والقرآن في قلوب المؤمنين» ، ونحو هذا قال الفرَّاء[٦] : «يقول قبلته القلوب بأقدارها وأهوائها» .

وقال صاحب النظم : «الماء هاهنا إن شاء الله الإيمان والحق ، فهؤلاء الذين سمينا جعلوا الماء مثلاً للإيمان والقرآن ، والأودية مثلاً للقلوب» .

---

(١) معاني القرآن وإعرابه ٣/ ١٤٥ .

(٢) في : (أ) و(ج) ساقط (أن) .

(٣) الهنداز : سبق التعريف به ، وهو معرب ، وأصله بالفارسية أَنْدازاه ، يقال : أعطاه بلا حساب ولا هنْداز .

(٤) الحجة ٢/ ٣٤٠ .

(٥) القرطبي ٩/ ٣٠٥ .

(٦) معاني القرآن ٢/ ٦١ .

والباقون من المفسرين وأهل المعاني سكتوا عن بيان الممثل والممثل به، وجعلوا ابتداء المثل من قوله: ﴿فَٱحْتَمَلَ ٱلسَّيْلُ زَبَدًا رَّابِيًا﴾، قال ابن عباس[١]: «وهو الشك والكفر»، قال الفرَّاء[٢]: «يقال: أزبد الوادي إزباداً، والزبد الاسم»، (رابياً) قال الزَّجَّاج[٣]: «طافياً عالياً فوق الماء»، وقال غيره[٤]: زابداً بانتفاخه، ربا يربو، إذا زاد، وهذا هو الأصل، ثم إذا زاد وانتفخ صار عالياً.

قال ابن عباس وغيره من المفسرين[٥]: «ثم ضرب مثلاً آخر فقال: ﴿وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي ٱلنَّارِ﴾»، قرئ[٦] بالتاء والياء. فمن قرأ[٧] بالتاء فلما قبله من الخطاب، وهو قوله: ﴿قُلْ أَفَٱتَّخَذْتُم﴾، ويجوز أن يكون خطاباً عاماً يراد به الكافة، كأنه ومما توقدون عليه أيها الموقدون، ومن قرأ بالياء فلأن ذكر الغيبة قد تَقَدّم في قوله: [﴿أَمْ جَعَلُوا۟ لِلَّهِ شُرَكَآءَ﴾ ويجوز أن يراد به][٨] جميع[٩] الناس، ويقوي ذلك قوله: ﴿وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ﴾ فكما أن الناس يعم المؤمن والكافر، كذلك الضمير

---

(١) الطبري ١٣/ ١٣٥، وابن المنذر وابن أبي حاتم وأبو الشيخ كما في الدر ٤/ ١٠٣.

(٢) لم أجده في مظانه، وانظر: اللسان (زبد) ٣/ ١٨٠٣.

(٣) معاني القرآن وإعرابه ٣/ ١٤٥.

(٤) أبو عبيدة مجاز القرآن ١/ ٣٢٨.

(٥) الطبري ١٣/ ١٣٤، والثعلبي ٧/ ١٣٠ب، وزاد المسير ٤/ ٣٢٢، والقرطبي ٩/ ٣٠٥، وابن كثير ٢/ ٥٥٧، ٥٥٨.

(٦) قرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو وابن عامر وعاصم في رواية أبي بكر (توقدون) بالتاء، وقرأ حمزة والكسائي وحفص عن عاصم (يوقدون) بالياء وروى علي بن نصر عن أبيه عن أبي عمرو بالتاء والباء والغالب التاء، وانظر: السبعة ٣٥٨، والإتحاف ٢٧٠، وزاد المسير ٤/ ٣٢١، والبحر المحيط ٥/ ٣٨١.

(٧) من هنا يبدأ النقل عن الحجة ٥/ ١٦ باختصار.

(٨) في (ج): (أم جعلوا لله شركاء خلقوا، ويراد به).

(٩) في (ب): (جمع).

في يوقــدون[١] ، وأراد بما يوقد عليه في النــار الفلز[٢] ، وهو ما يذاب من الجواهر كالذهب والفضة والصفر والحديد والنحاس ، في قول جميع المفسرين[٣] .

قال أبو علي[٤] : «وجعل الظرف الذي هو ﴿ فِي ٱلنَّارِ ﴾ متعلقاً بتوقدون ؛ لأنه قد يوقد على ما ليس في النار ، كقوله : ﴿ فَأَوْقِدْ لِي يَٰهَٰمَٰنُ عَلَى ٱلطِّينِ ﴾ [القصص :٣٨] فهــذا إيقاد على ما ليس في النار ، وإن كان يلحقــه وهجها ولهيبها ، يريد أن هذه الجواهر تدخل النار فيوقد عليها» .

وقوله تعالى : ﴿ ٱبْتِغَآءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَٰعٍ ﴾ قال الزَّجَّاج[٥] وغيره : «الذي يوقد عليه لابتغاء الحلية الذهب والفضة ، والذي يوقد عليه لابتغاء الأمتعة الحديد والصفر والنحاس والرصاص ، يتخذ منها الأواني والأشياء التي ينتفع بها ، والمتاع كل ما يتمتع به»[٦] .

وقوله تعالى : ﴿ زَبَدٌ مِّثْلُهُۥ ﴾ أي زبد مثل زبد الماء الذي يحمله السيل .

وقوله تعالى : ﴿ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْحَقَّ وَٱلْبَٰطِلَ ﴾ كما ذكر من هذه الأشياء يضرب الله مثــل الحق والباطل ، قال صاحب النظم : هذا كلام فرِّق به بين الكلام الأول وبين تمامه ؛ لأن قوله : ﴿ فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَآءً ﴾ هو من الكلام الأول ، ثم لما تم

---

(١) إلى هنا انتهى النقل عن الحجة ٥/ ١٦ باختصار .

(٢) الفِلْزُ والفِلَــزُّ والفُلُزُّ نحاس أبيض تصنع منه القدور وغيرهــا ، وقيل : هو جميع جواهر الأرض من الذهب والفضة والنحاس وأشــباه ذلــك . انظر : تهذيب اللغة (فلز) ٣/ ٢٨٢٨ ، واللســان (فلز) ٦/ ٣٤٦٠ .

(٣) الطــبري ١٣/ ١٣٤ ، والثعلبي ٧/ ١٣١أ ، وزاد المســير ٤/ ٣٢٢ ، والقرطبي ٩/ ٣٠٥ ، وابن كثير ٢/ ٥٥٨ ، والبحر المحيط ٥/ ٣٨١ .

(٤) الحجة ٥/ ١٦ ، والبحر المحيط ٥/ ٣٨٢ .

(٥) معاني القرآن وإعرابه ٣/ ١٤٥ .

(٦) تهذيب اللغة (متع) ٤/ ٣٣٣٤ .

ذلك رجع إلى تمام قوله : ﴿كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْحَقَّ وَٱلْبَٰطِلَ﴾ ، فقال : ﴿كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ﴾ والتأويل : كذلك يضرب الله الأمثال للحق والباطل ، فاختصر الكلام اختصاراً على ما سبق من ذكر الحق والباطل ، اعتماداً على بيانه في آخر الآية ، وهو قوله تعالى : ﴿كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ﴾ ، وأنشد قول ذي الرمة[١] :

فَأَضْحَتْ مَغَانِيها قِفَاراً رُسُومُها
كَأَنْ لَمْ سِوَى أَهْلٍ مِنَ الوَهْلِ تُؤْهَلُ

المعنى : كأن لم تؤهل سوى أهل من الوحش ، ففرق بين لم وتؤهل ، ومعنى قوله : ﴿فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَآءً﴾ الجفاء[٢] ما جفاه الوادي ؛ أي رمى به ، قال أبو زيد[٣] : «يقال : جفأت الوادي الرجل ، إذا صرعته ، وأجفأت القدر بزبدها ، إذا ألقت زبدها فيذهب جفاء» . وقال الفرَّاء[٤] : «الجفاء الرمي والاطراح ، يقال : جفا الوادي غثاه جفاءً ، إذا رماه ، والجفاء اسم للمجتمع منه المنضم بعضه إلى بعض ، بمنزلة الغثاء والقماش»[٥] ، قال : «والجفاء مصدر يكون في مذهب اسم ، وكذلك مصدر اجتمع بعضه إلى بعض مثل القماش والحطام والدقاق[٦] ، كما كان العطاء اسم الإعطاء» ، وقال الزَّجَّاج[٧] في باب الوفاق : «جفا الوادي يجفا جُفاً أو أجفاً ، إذا رمى بغثائه» ، قال : «وموضع (جفاءً) نصب على الحال» .

---

(١) ديوانه ١٤٦٥ ، وفيه : «من الوحش» بدل من «من الوهل» . خزانة الأدب ٩/ ٥ ، والخصائص ٢/ ٤٠١ ، والدرر ٥/ ٦٣ . انظر : تأويل مشكل القرآن ٢٠٧ ، وشرح شواهد المغني للسيوطي ٢٣٣ .

(٢) تهذيب اللغة (جفأ) ١/ ٦١٩ ، والزاهر ٢/ ٨٩ .

(٣) تهذيب اللغة (جفأ) ١/ ٦١٩ .

(٤) معاني الفرَّاء ٢/ ٦٢ بنحوه ، وتهذيب اللغة (جفأ) ١/ ٦١٩ .

(٥) القماش : ما يجمع من هنا وهناك .

(٦) الدقائق : فتات كل شيء .

(٧) فعلت وأفعلت ٨ ، ونقله في التهذيب ١/ ٦١٩ عن الفرَّاء .

وتلخيص معنى الآية على ما ذكره المفسرون وأهل المعاني[١] : أن هذا مثل ضربه الله للحق والباطل ، يقول : الباطل وإن ظهر على الحق في بعض الأحوال وعلاه ، فإن الله سيمحقه ويبطله ويجعل العاقبة للحق وأهله ، كالزبد الذي يعلو الماء ، فيلقيه الماء عنه ويضمحل ، وكخبث هذه الجواهر يقذفه الكير ، فهذا مثل الباطل ، وأما الذي ينفع الناس وينبت المرعى فيمكث في الأرض ، وكذلك الصفو[٢] من الفلز يبقى خالصاً لا شوب[٣] فيه ، فهو مثل الحق ، هذا بيان ابن قتيبة[٤] وكلامه .

وقال أبو إسحاق[٥] : «فمثل المؤمن واعتقاده ونفع الإيمان ، كمثل هذا الماء المنتفع به في نبات الأرض ، وحياة كل شيء ، وكمثل نفع الفضة والذهب وسائر الجواهر ؛ لأنها كلها تبقى منتفعاً به ، ومثل الكافر وكفره كمثل هذا الزبد الذي يذهب جفاء ، وكمثل[٦] خبث الحديد وما تخرجه النار من وسخ الفضة والذهب الذي[٧] ينتفع به» .

١٨ . قوله تعالى : ﴿لِلَّذِينَ ٱسْتَجَابُواْ لِرَبِّهِمُ﴾ ؛ أي أجابوه إلى ما دعاهم إليه من توحيده وشريعته على لسان رسوله ، قال ابن عباس[٨] : «يريد للذين وحدوا ربهم» .

---

(١) زاد المسير ٤/ ٣٢٢ ، والقرطبي ٩/ ٣٠٥ .
(٢) في (أ) و(ج) : (عن) .
(٣) في (أ) و(ج) : (الأشوب) بألف .
(٤) مشكل القرآن وغريبه ٢٣٣ .
(٥) معاني القرآن وإعرابه ٣/ ١٤٥ .
(٦) في (ج) : بزيادة هذا : (وكمثل هذا خبث الحديد) .
(٧) في معاني القرآن وإعرابه ٣/ ١٤٦ : (الذي لا ينتفع به) .
(٨) القرطبي ٩/ ٣٠٦ ، وتنوير المقباس ١٥٧ .

وقوله تعالى : ﴿ ٱلْحُسْنَىٰ ﴾ قال[١] : «يريد الجنة» ، وقال أهل المعاني : الحسنى هي المنفعة العظمى في الحسن ، وهي الجنة على الخلود في نعيمها .

وقوله تعالى : ﴿ لَٱفْتَدَوْا۟ بِهِۦٓ ﴾ الافتداء : جعل أحد الشيئين بدلاً من الآخر ، ومفعول (افتدوا) محذوف تقديره : لافتدوا به أنفسهم ، أي جعلوه فداء أنفسهم من العذاب ، والكناية في (به) تعود إلى (ما) في قوله : ﴿ مَّا فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ .

وقوله تعالى : ﴿ سُوٓءُ ٱلْحِسَابِ ﴾ قال المفسرون[٢] : هو أن لا تقبل منه حسنة ، ولا يتجاوز عن سيئته ، قال أبو إسحاق[٣] : «لأن كفرهم أحبط أعمالهم» .

١٩. قوله تعالى : ﴿ أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ٱلْحَقُّ ﴾ الآية . قال ابن عباس[٤] : «نزلت في حمزة وأبي جهل» .

وقوله تعالى : ﴿ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰٓ ﴾ قال : يريد أبا جهل أعمى القلب ، قال أهل المعاني : الجاهل بالدين ممثل بالأعمى ، لأن العلم يُهْتَدَى به إلى طريق الرشد من الغي ، كما يهتدى بالبصر إلى طريق النجاة من طريق الهلاك ، وبالضد من هذا حال الجهل والعمى .

وقوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ ﴾ أي يتعظ ويطلب ذكر ما رغب فيه من الجنة فيطيع الله ، وما أوعد به فيرتدع عن المعاصي . ﴿ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ قال ابن عباس : «يريد المهاجرين والأنصار» ، والآية نازلة في هؤلاء ، وهي لكل من كان بهذه الصفة

---

(١) زاد المسير ٤/ ٣٢٣ ، وتنوير المقباس ١٥٧ ، وتيسير كتاب الله العزيز لهود بن محكم ٢/ ٣٠٣ ، وأخرجه الطبري ١٣/ ١٣٨ ، وأبو الشيخ عن قتادة كما في الدر ٤/ ١٠٥ .

(٢) زاد المسير ٤/ ٣٢٣ ، والقرطبي ٩/ ٣٠٧ .

(٣) معاني القرآن وإعرابه ٣/ ١٤٥ وفيه : «وأن كفرهم أحبط أعمالهم» .

(٤) زاد المسير ٤/ ٣٢٣ ، والقرطبي ٩/ ٣٠٧ ، والبحر المحيط ٥/ ٣٨٤ .

من العلم والجهل والتذكر ، فهي بيان عما يستحق كل واحد من العالم والجاهل ، والمحق والمبطل من صفة المدح بالبصيرة والذم بالعمى والحيرة .

٢٠. قوله تعالى : ﴿ ٱلَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَلَا يَنقُضُونَ ٱلْمِيثَٰقَ ﴾ قال ابن عباس[١] : «يريد الذي عاهدهم عليه في صُلب آدم»[٢] .

٢١. قوله تعالى : ﴿ وَٱلَّذِينَ يَصِلُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ ﴾ ، قال ابن عباس[٣] : «يريد الإيمان بالأنبياء» ، يعني : يصل بينهم بالإيمان بالجميع ، كما قال في الخبر عن المؤمنين : ﴿ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ ﴾ [البقرة :٢٨٥] ، وقال أكثر المفسرين[٤] : يريد صلة الأرحام .

٢٢. ﴿ وَٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ ﴾ قال في رواية عطاء[٥] : «يريد على دين ربهم وما أمر به من طاعته ونهى عن معصيته» ، وهو قول ابن زيد[٦] وأبي عمران الجوني[٧] . ﴿ ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ ﴾ ؛ أي طلب تعظيم الله .

---

(١) زاد المسير ٤/ ٣٢٤ ، والقرطبي ٩/ ٣٠٧ .

(٢) يعني ما ذكر في قوله تعالى : ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ ﴾ الآية [الأعراف :١٧٢] .

(٣) القرطبي ٩/ ٣١٠ ، والثعلبي ٧/ ١٣٢أ ، وتفسير كتاب الله العزيز ٢/ ٣٠٤ ، وأخرجه ابن أبي حاتم وأبو الشيخ عن سعيد بن جبير كما في الدر ٤/ ١٠٦ ، ١٠٧ .

(٤) انظر : الطبري ١٣/ ١٣٩ ، والثعلبي ٧/ ١٣٢أ ، وابن كثير ٢/ ٥٦٠ ، وزاد المسير ٤/ ٣٢٤ ، والقرطبي ٩/ ٣١٠ ، وتفسير كتاب الله العزيز ٢/ ٣٠٤ .

(٥) تنوير المقباس ١٥٧ ، والقرطبي ٩/ ٣١٠ ، والثعلبي ٧/ ١٣٢ب .

(٦) الطبري ١٣/ ١٤٠ ، والثعلبي ٧/ ١٣٢ب .

(٧) الثعلبي ٧/ ١٣٢ب ، والقرطبي ٩/ ٣١٠ .

وقولــه تعــالى : ﴿ وَيَدْرَءُونَ بِٱلْحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ ﴾ قال ابن عبــاس[١] : «يدفعون بالعمل الصالح الشرَّ من العمل» ، قال ابن كيســان[٢] : «هو أنهم إذا أذنبوا تابوا ، ليدفعوا بالتوبة مَعَرَّة الذنــب ، روي أن النبي ﷺ قال لمعاذ بن جبل : إذا عملت سيئة فاعمل بجنبها حسنة تمحها[٣] ، فعلى هذا الحسنة والسيئة بينه وبين الله» .

وقال ابن زيد[٤] : «لا يكافئون الشر بالشر ، بل يحلمون عن السفيه ، ويردون على من يسفه عليهم معروفاً من القول» ، وهذا قول قتادة[٥] واختيار ابن قتيبة[٦] ، وعلى هذا الحسنة والسيئة بينه وبين الناس .

وقوله تعالى : ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴾ قال ابن عباس[٧] : «يريد عقباه الجنة» ، والعقبى[٨] كالعاقبة ، يجوز أن يكون مصدراً ، كالشورى والقربى واللقيا ، توضع موضع المصدر ، وقــد يجيء مثل هذا أيضــاً على (فَعْلى) كالنجــوى والدعوى والطغوى ، وعلى (فِعْلى) كالذكرى والضيزى ، ويجوز أن يكون اسماً ، وهو هاهنا مصدر مضاف إلى الفاعل ، والمعنى : أولئك لهم أن تعقب أعمالهم الحســنة الجنة ، أي تصير الجنة آخر أمرهم ، والمراد بالــدار الجنة ، يعرف ذلك بإطلاقها ، حيث ذكرت عقيب الأعمال الصالحة .

---

(١) زاد المسير ٤/ ٣٢٤ ، والقرطبي ٩/ ٣١١ ، والثعلبي ٧/ ١٣٣أ .

(٢) الثعلبي ٧/ ١٣٢ب ، وزاد المسير ٤/ ٣٢٥ .

(٣) أخرجه أحمد في المســند ٥/ ١٦٩ ، إلا أنه قال : «فأتبعها» وفي ٥/ ١٧٧ ، وقال : «فاعمل حســنة» من حديــث أبي ذر ، ونحوه في الترمذي (١٩٨٧) في كتاب البر والصلة ، باب ما جاء في معاشرة الناس ، وحســنه الألباني في صحيح سنن الترمذي . وأخرجه ســعيد بن منصور ٣/ ٦٤ ، وأبو نعيم في حلية الأولياء ٤/ ٢١٧ ، ٢١٨ .

(٤) الثعلبي ٧/ ١٣٢ب ، والطبري ١٣/ ١٤١ ، والقرطبي ٩/ ٣١١ .

(٥) الثعلبي ٧/ ١٣٢ب .

(٦) مشكل القرآن وغريبه ٢٣٣ ، والثعلبي ٧/ ١٣٢ب ، وزاد المسير ٤/ ٣٢٥ .

(٧) زاد المسير ٤/ ٣٢٥ ، وتفسير كتاب الله العزيز ٢/ ٣٠٥ .

(٨) اللسان (عقب) ٥/ ٣٠٢٢ ، وتهذيب اللغة (عقب) ٣/ ٢٥٠٧ .

٢٣. قوله تعالى : ﴿ جَنَّٰتُ عَدۡنٖ يَدۡخُلُونَهَا ﴾ قال الزَّجَّاج[١] : «جنات بدل من عقبى» .

قال ابن عباس[٢] : «هي وسط الجنة وقصبتها ، مساندة بعرش الرحمن ، غَرَسها الرحمنُ -تبارك وتعالى- بيده» ، والكلام في جنات عدن قد ذكرناه مستقصىً عند قوله : ﴿ وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةٗ فِي جَنَّٰتِ عَدۡنٖ ﴾ [التوبة :٧٢] ، وذكرنا هناك مذهب المفسرين ومذهب أهل اللغة .

وقوله تعالى : ﴿ وَمَن صَلَحَ ﴾ موضع (من) رفع عطف على الواو في ﴿ يَدۡخُلُونَهَا ﴾ ، قال أبو إسحاق[٣] : «وجائز أن يكون نصباً ، كما تقول قد دخلوا وزيداً ، أي مع زيد» .

قال ابن عباس[٤] : «﴿ وَمَن صَلَحَ مِنۡ ءَابَآئِهِمۡ ﴾ يريد من صَدَّق بما صدقوا به ، وإن لم يعمل مثل أعمالهم» .

وقال أبو إسحاق[٥] : «اعلم أن الأسباب لا تنفع بغير أعمال صالحة» ، فعلى قول ابن عباس معنى (صلح) : صدق وآمن ووحد ، وعلى ما ذكر أبو إسحاق معناه : صلح في عمله .

والصحيح ما قال ابن عباس ؛ لأن الله تعالى جعل من ثواب المطيع سروره بما يراه في أهله ، حيث بشره بدخول الجنة مع هؤلاء ، فدل أنهم يدخلونها كرامة

---

(١) معاني القرآن وإعرابه ٣/ ١٤٧ .
(٢) القرطبي ٩/ ٣١١ نحوه .
(٣) معاني القرآن وإعرابه ٣/ ١٤٧ .
(٤) القرطبي ٩/ ٣١٢ ، والبحر المحيط ٥/ ٣٨٧ ، وتفسير كتاب الله العزيز ٢/ ٣٠٥ .
(٥) معاني القرآن وإعرابه ٣/ ١٤٧ .

للمطيع ، ولا فائدة في التبشير والوعد به ؛ إذ كل مصلح في عمله قد وعد دخول الجنة[١] .

وقوله تعالى : ﴿ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ ﴾ قال ابن عباس[٢] : «يريد بالتحية من الله والتحفة والهدايا» .

٢٤. قوله تعالى : ﴿ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ ﴾ قال أبو إسحاق[٣] : «المعنى يدخلون عليهم من كل باب يقولون : سلام عليكم ، فأضمر القول هاهنا ، لأن في الكلام دليلاً عليه» .

وقوله تعالى : ﴿ بِمَا صَبَرْتُمْ ﴾ قال ابن عباس[٤] : «يريد في دار الدنيا» ، قال النحويون[٥] : الباء في (بما) تتعلق بمعنى سلام ، لأنه قد دل على السلامة لكم بما صبرتم . وقال صاحب النظم : السلام قول ، ولا يحتمل أن يكون القول ثواباً للصبر الذي هو فعل ، فدل هذا على أن المعنى في قوله : ﴿ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ ﴾ دعاء من الملائكة لهم ، على معنى : سلمكم الله بما صبرتم ، أو خبر منهم ، أي إن الله

---

(١) قلت : ويشهد لهذا قوله تعالى : ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَآ أَلَتْنَٰهُم مِّنْ عَمَلِهِم مِّن شَىْءٍ ﴾ الآية ، [الطور :٢١] .
وأخرج الطبري ١٣/ ١٤١ ، وابن أبي شيبة وابن المنذر وابن أبي حاتم وأبو الشيخ عن مجاهد قوله : ﴿ وَمَن صَلَحَ مِنْ ءَابَآئِهِمْ ﴾ «من آمن في الدنيا» .
وأخرج ابن أبي حاتم وأبو الشيخ عن سعيد بن جبير قال : «يدخل الرجل الجنة فيقول : أين أمي ؟ أين ولدي ؟ أين زوجتي ؟ . . . فيقال : لم يعملوا مثل عملك ، فيقول : كنت أعمل لي ولهم ، ثم قرأ ﴿ جَنَّٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَن صَلَحَ ﴾ يعني من آمن بالتوحيد بعد هؤلاء ﴿ مِنْ ءَابَآئِهِمْ وَأَزْوَٰجِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ ﴾ يدخلون معهم . .» الدر المنثور ٢/ ١٥٨ .

(٢) زاد المسير ٤/ ٣٢٥ ، والقرطبي ٩/ ٣١٢ ، والبحر المحيط ٥/ ٣٨٧ ، وتفسير كتاب الله العزيز ٢/ ٣٠٦ .

(٣) معاني القرآن وإعرابه ٣/ ١٤٧ .

(٤) تنوير المقباس ١٥٧ .

(٥) التبيان في إعراب القرآن للعكبري ٢/ ٧٥٧ .

سلمكم من أهوال هذا اليوم من شره ، وأدخلكم الجنة بصبركم في الدنيا ، ويجوز أن يتعلق بمحـــذوف على تقدير : الكرامة لكم بما صبرتم و(ما) هاهنا للمصدر ، كأنه قيل : بصبركم .

وقوله تعـــالى : ﴿ فَنِعْمَ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴾ الدار هاهنا أيضاً يجب أن يكون مصدراً ؛ لأنه لو كان اســماً ، وأضيف إلى الدار صار لها . وليس المراد ذكـــر عاقبة [الدار ، إنما المراد ذكر عاقبة][1] أهل الجنة ومـــدح عاقبتهم ، والمقصود بالمدح محذوف على تقدير : نعم العقبى عقبى الدار ، كقوله تعـــالى : ﴿ نِّعْمَ ٱلْعَبْدُ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴾ [ص :٤٤] ، ولم يذكر أيوب لتقـــدم ذكره ، ومثله قولـــه : ﴿ بِئْسَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ ﴾ [الجمعة :٥] هذا كله إذا كان المراد بالدار الجنة . وقال صاحب النظم : (نعم) يقتضي اســماً وخبراً ، والمعنى إن شاء الله : فنعم عقبى الدار ما أنتم فيه ؛ أي هذا نعم عاقبة الدار التي كنتم فيها ، عملتم فيها ما أعقبكم هذا الذي أنتم فيه ، فعلى هذا ، العقبى اسم ، والدار هي الدنيا[2] .

٢٥. قولـــه تعـــالى : ﴿ وَٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مِيثَٰقِهِۦ ﴾ الآية مفسرة في سورة البقرة بتمامها[3] .

٢٦. قوله تعالى : ﴿ ٱللَّهُ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ ﴾ معنى القدر في اللغة[4] : قَطْع الشيء على مســـاواة غيره من غير زيـــادة ولا نقصان ، والمقدار : المثال الذي يعمل عليه غيره في مســـاواته به ، وقـــال المفسرون[5] : في معنى يقدر هاهنا : يضيق ويقتر ، ومثله قوله : ﴿ وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُۥ ﴾ [الطلاق :٣] ؛ أي ضيق ، وقولـــه : ﴿ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُۥ ﴾ [الفجر :١٦] بمعنى

---

(١) ما بين المعقوفين مكرر في (أ) و(ج) .

(٢) القرطبي ٩/ ٣١٣ .

(٣) عند قوله تعالى : ﴿ ٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مِيثَٰقِهِۦ ﴾ [آية :٢٧] .

(٤) تهذيب اللغة (قدر) ٣/ ٢٨٩٧ ، ٢٨٩٨ ، واللسان (قدر) ٦/ ٣٥٤٦ .

(٥) الثعلبي ٧/ ١٣٤أ ، والطبري ١٣/ ١٤٣ ، ١٤٤ ، وتفسير كتاب الله العزيز ٢/ ٣٠٦ .

يضيق ، وهو أن يعطيه على قـدر كفايته ، لا يفضل عنه شيء من رزقه على صدر البسط .

وقوله تعـالى : ﴿ وَفَرِحُواْ بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ﴾ قال ابن عبـاس[١] والمفسرون : «يريد مشركي مكة ، فرحوا بما نالوا من الدنيا وأشروا وبطروا ، فطغوا وكذبوا الرسول ، ولم يشكروا ما بسط الله عليهم من الدنيا» .

ثـم قـال : ﴿ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا فِى ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا مَتَٰعٌ ﴾ ؛ أي في حياة الآخرة ، يعني بالقياس إليها ، قال ابن عباس[٢] : «يريـد ما في الدنيا يذهب ويبيد وهو قليل» ، وقال مجاهد[٣] : «أي قليل ذاهب» .

وقـال الكلبي[٤] : «كالشيء الذي يتمتع به ثـم يفنى ويذهب ، مثل القصعة والقِدْر والقدح ينتفع بها ثم يذهب» .

٢٧. قولـه تعالى : ﴿ وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ ﴾ الآية ، قال المفسرون[٥] : نزلت في أهل مكة حين طالبوا رسول الله ﷺ بالآيات ، قال أهل المعاني : إنهم لم يستدلوا فيُعملوا مدلول الآيات التي بها ، فلم يعتدوا بها ، وقالوا هذا القول جهلاً منهم .

---

(١) زاد المسير ٤/ ٣٢٦ ، والقرطبي ٩/ ٣١٤ ، وتفسير كتاب الله العزيز ٢/ ٣٠٦ .

(٢) نقل في البحر المحيط ٥/ ٣٨٨ ، والقرطبي ٩/ ٣١٤ عن ابن عباس أنه قال : «زاد كزاد الراعي» .

(٣) الطبري ١٣/ ١٤٤ ، وابن أبي شـيبة وابـن المنذر وابن أبي حاتم وأبو الشـيخ كما في الدر ٤/ ١١٠ ، والبحر المحيط ٥/ ٣٨٨ ، والقرطبي ٩/ ٣١٤ ، والثعلبي ٧/ ١٣٤أ .

(٤) تنوير المقباس ١٥٨ ، والثعلبي ٧/ ١٣٤أ .

(٥) الطبري ١٣/ ١٤٤ ، والثعلبي ٧/ ١٣٤أ ، وزاد المسير ٤/ ٣٢٦ ، والقرطبي ٩/ ٣١٥ ، والبحر المحيط ٥/ ٣٨٨ .

وقوله تعالى : ﴿ قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ ﴾ قال ابن عباس[١] : «يريد عن دينه» ، يعني كما أضلكم بعدما رأوا من الآيات وحرمكم الاستدلال بها ﴿ وَيَهْدِىٓ إِلَيْهِ مَنْ أَنَابَ ﴾ أي رجع إلى الحق ، قاله الزَّجَّاج[٢] ، وإنما يرجع إلى الحق من يشاء الله ، فكأنه قال : ويهدي إليه من يشاء ، كما قال : ﴿ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ ﴾[٣] في مواضع .

٢٨. قوله تعالى : ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ﴾ قال الزَّجَّاج[٤] : «(الذين) في موضع نصب ردّاً على (من) ، المعنى : يهدي الله الذين آمنوا ، ﴿ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ ﴾» ، قال ابن عباس[٥] : «يريد إذا سمعوا القرآن خشعت قلوبهم واطمأنت ، وإذا سمعوا ذكر الله أحبوه واستأنسوا به» ، ونحو هذا قال مقاتل[٦] ، وقال أبو إسحاق[٧] : «أي إذا ذكروا الله وحده آمنوا به غير شاكين ، بخلاف من وصف بقوله : ﴿ وَإِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَحْدَهُ ٱشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ ﴾ [الزمر :٤٥]» .

وقوله تعالى : ﴿ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴾ قال ابن عباس[٨] وغيره : «يريد قلوب المؤمنين» ، قال الزَّجَّاج[٩] : «لأن الكافر غير مطمئن القلب» ، وذكرنا الجمع بين هذه الآية وبين قوله : ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ ﴾ في سورة الأنفال [٢] .

---

(١) تنوير المقباس ١٥٨ ، وزاد المسير ٤/ ٣٢٦ ، والقرطبي ٩/ ٣١٥ .
(٢) معاني القرآن وإعرابه ٣/ ١٤٧ .
(٣) يونس ٢٥ ، وإبراهيم ٤ ، والنحل ٩٣ ، وفاطر ٨ ، والمدثر ٣١ .
(٤) معاني القرآن وإعرابه ٣/ ١٤٧ وفيه : «يهدي إليه» .
(٥) تنوير المقباس ١٥٨ ، بنحوه .
(٦) تفسير مقاتل ١٩١أ .
(٧) معاني القرآن وإعرابه ٣/ ١٤٧ . بنحوه .
(٨) زاد المسير ٤/ ٣٢٧ ، والقرطبي ٩/ ٣١٥ .
(٩) معاني القرآن وإعرابه ٣/ ١٤٨ .

٢٩. قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ طُوبَىٰ لَهُمْ﴾ روى معاوية بن قرة عن أبيه قال: قال رسول الله ﷺ: «طُوبَى شجرةٌ غرسها الله بيده تنبت الحلي والحلل، وإن أغصانها لَتُرى من وراء سور الجنة»[١] فعلى هذا طوبى اسم تلك الشجرة، وهو قول أبي هريرة[٢]، ومغيث بن سمي[٣] وعبيد بن عمير[٤] ومقاتل[٥] ووهب[٦] وأبي صالح[٧] وعكرمة[٨] وابن عباس[٩] في رواية عطاء والكلبي[١٠]، كل هؤلاء قالوا: إنها شجرة في الجنة، ووَصَفَ كلٌّ منها صفةً يطول ذكرها.

(١) أخرجه الطبري ١٣/ ١٤٩ وعلق عليه أحمد شاكر بقوله: «وهذا خبر هالك الإسناد، وحسبه ما فيه من أمر (محمد بن زياد) ولم أجده عند غير الطبري، قلت: وقد ترجم لمحمد بن زياد بقوله: كذاب خبيث يضع الحديث» اهـ. وأخرجه ابن مردويه عن ابن عباس مرفوعاً كما في الدر ٤/ ١١١.

(٢) الطبري ١٣/ ١٤٧، وعبدالرزاق ٢/ ٣٣٦، وابن أبي الدنيا في صفة الجنة، وابن المنذر وابن أبي حاتم كما في الدر ٤/ ٦٤٣، والثعلبي ٧/ ١٣٥أ، وزاد المسير ٤/ ٣٢٧.

(٣) الطبري ١٣/ ١٤٧ـ١٤٩، والثعلبي ٧/ ١٣٥أ، وزاد المسير ٤/ ٣٢٨، وابن أبي شيبة ٨/ ٦٩.

(٤) الثعلبي ٧/ ١٣٥أ.

(٥) تفسير مقاتل ١٩١أ، والثعلبي ٧/ ١٣٥أ.

(٦) الطبري ١٣/ ١٤٨، وأبو الشيخ كما في الدر ٤/ ١١٣ وابن أبي حاتم كما في الدر ٤/ ١١٤، والثعلبي ٧/ ١٣٥ب.

(٧) أخرجه ابن أبي شيبة ٨/ ٦٩، وانظر: الدر ٤/ ١١٥، والثعلبي ٧/ ١٣٦ب، وزاد المسير ٤/ ٣٢٨.

(٨) روى الطبري ١٣/ ١٤٦ عن عكرمة: «(طوبى لهم): نعم ما لهم». وأخرجه ابن أبي شيبة هناد وابن المنذر وابن أبي حاتم وأبو الشيخ كما في الدر ٤/ ١١١، وروى عنه أيضاً ٤/ ١١١، «(طوبى لهم) قال: الجنة». وانظر: زاد المسير ٤/ ٣٢٨، والقرطبي ٩/ ٣١٦.

(٩) الطبري ١٣/ ١٤٧، وتفسير كتاب الله العزيز ٢/ ٣٠٨.

(١٠) تنوير المقباس ١٥٨، والثعلبي ٧/ ١٣٦ب.

وقال أبو عبيدة[١] والزَّجَّاج[٢] وأهل اللغة[٣] : «(طوبى) فعلى من الطيب» .

قال ابن الأنباري[٤] : «يعني أن تأويلها : الحال المستطابة لهم ، وأصلها : (طيبى) فصارت الياء واواً لسكونها وانضمام ما قبلها ، كما تقول في : موسر وموقن ، قال : وهذه الكلمة غير مبنية على (أفعل) كالأولى والكبرى ، ولذلك جاز إفرادها من الألف واللام ومن الإضافة نحو : سعدى وقربى وزلفى» ، وعلى هذا معنى طوبى في اللغة : الغبطة وبلوغ أقصى الأمنية والسؤل ، وأنشد[٥] :

وَطُوبَى لِـمَنْ يَسْتَبْدِلُ الطَّوْدَ بِالْقُرَى
وَرِسْلاً بِيَقْطِينِ العِرَاقِ وفُومِهَا

قال الأزهري[٦] : «والعرب تقول : طوبى لك . وطوباك لحن لا تقوله العرب» ، وهذا قول أكثر النحويين ، إلا الأخفش[٧] فإنه قال : «من العرب من يضيفها فيقول : طوباك» .

قال أبو بكر[٨] : «(طوباك) مما[٩] يلحن فيه العوام ، والصواب : طوبى لك» ، وهذا الذي ذكرنا من قول أهل اللغة مذهب جماعة من المفسرين .

---

(١) لم أجده في مجاز القرآن ١/ ٣٣٠ .
(٢) معاني القرآن وإعرابه ٣/ ١٤٨ .
(٣) تهذيب اللغة (طاب) ٣/ ٢١٤٧ ، واللسان (طيب) ٥/ ٢٧٣٢ .
(٤) زاد المسير ٤/ ٣٢٨ .
(٥) بلا نسبة في الزاهر ١/ ٥٥٨ ، واللسان (طيب) ٥/ ٢٧٣٢ . الرسل : اللبن ، والطود : الجبل ، واليقطين : القرع ، والفوم : الخبز والحنطة ، ويقال : الثوم .
(٦) في (ح) : (ممن) .
(٧) تهذيب اللغة (طاب) ٣/ ٢١٤٧ .
(٨) معاني القرآن ٢/ ٥٩٧ .
(٩) اللسان (طيب) ٥/ ٢٧٣٢ ، والزاهر ١/ ٥٥٧ .

قال ابن عباس[١] في رواية الوالبي : «(طوبى لهم) : فرح وقرة أعين» ، وروى معمر عن قتادة[٢] قال : «طوبى كلمة عربية ، تقول العرب : طوبى لك إن فعلت كذا وكذا ؛ أي أصبت خيراً» ، وقال عكرمة[٣] : «(طوبى لهم) نعمى لهم» .

وروى سعيد عن قتادة[٤] قال : «الحسنى لهم» .

وقال الضحاك[٥] : «غبطة لهم» ، وقال الزَّجَّاج[٦] : «العيش الطيب لهم» ، فهذا الذي ذكرنا ، قولان في هذه الكلمة ، أحدهما : أنها اسم شجرة ، والثاني : أنها فعلى من الطيب .

وفيها قول ثالث وهو : ما روى سعيد بن جبير عن ابن عباس[٧] : «طوبى اسم الجنة بالحبشة» ، وقال الربيع[٨] وسعيد بن مشجوج[٩] : «اسم الجنة بلغة الهند» ، وعلى هذا الكلمة مما وقع فيه الوفاق بين لغة العرب ولغة غيرهم من الهند أو الحبشة .

---

(١) الطبري ١٣/ ١٤٦ ، وابن المنذر وابن أبي حاتم وأبو الشيخ كما في الدر ٤/ ١١٠ ، ١١١ .

(٢) الطبري ١٣/ ١٤٦ .

(٣) زاد المسير ٤/ ٣٢٨ ، والقرطبي ٩/ ٣١٦ .

(٤) زاد المسير ٤/ ٣٢٨ ، والقرطبي ٩/ ٣١٦ ، والطبري ١٣/ ١٤٦ ، وابن أبي حاتم وأبو الشيخ كما في الدر ١٣/ ١١١ .

(٥) الطبري ١٦/ ٤٣٥ ، وزاد المسير ٤/ ٣٢٨ ، وأبو الشيخ كما في الدر ١٣/ ١١١ .

(٦) معاني القرآن وإعرابه ٣/ ١٤٨ .

(٧) الطبري ١٣/ ١٤٦ ، وزاد المسير ٤/ ٣٢٨ ، والقرطبي ٩/ ٣١٦ وابن أبي حاتم كما في الدر ٤/ ١١١ ، والمهذب للسيوطي ١١٥ ، والمعرب للجواليقي ٢٢٦ .

(٨) القرطبي ٩/ ٣١٦ .

(٩) الطبري ١٣/ ١٤٧ ، وزاد المسير ٤/ ٣٢٨ ، وأبو الشيخ كما في الدر ٤/ ١١١ ، والمهذب ١١٥ ، والمعرب ٢٢٦ .

٣٠. قوله تعالى : ﴿ كَذَٰلِكَ أَرْسَلْنَٰكَ ﴾ قال الحسن[١] وغيره : «أرسلناك كما أرسلنا الأنبياء قبلك» ، ﴿ فِىٓ أُمَّةٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهَآ أُمَمٌ ﴾ قال ابن عباس[٢] : «في قرن قد خلت من قبلها قرون» ﴿ لِّتَتْلُوَا۟ عَلَيْهِمُ ٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ ﴾ يعني القرآن ، ﴿ وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِٱلرَّحْمَٰنِ ﴾ قال : «وذلك أن رسول الله ﷺ كان في الحجر يدعو ، وأبو جهل يسمع إليه ، وهو يقول : يا رحمن ، فلما سمعه يذكر الرحمن ولَّى مدبراً إلى المشركين ، وقال لهم : إن محمداً كان ينهانا عن عبادة الآلهة ، وهو يدعو إلهين ، يدعو الله ويدعو إلهاً آخر يقال له : الرحمن ، فأنزل الله هذه الآية»[٣] .

وقوله : ﴿ قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُوا۟ ٱلرَّحْمَٰنَ ﴾ قال مقاتل[٤] وابن جريج[٥] وقتادة[٦] : «نزل هذا في صلح الحديبية ، أرادوا كتاب الصلح ، فقال النبي ﷺ لعلي : اكتب بسم الله الرحمن الرحيم ، فقال المشركون : ما . . . . . .[٧] اكتب باسمك اللهم» .

وقوله تعالى : ﴿ قُلْ هُوَ رَبِّى ﴾ أي قل لهم يا محمد : إن الرحمن الذي أنكرتم معرفته ، هو إلهي وسيدي ، لا إله إلا هو .

---

(١) القرطبي ٩/ ٣١٧ ، وتفسير كتاب الله العزيز ٢/ ٣٠٨ .

(٢) انظر : فتح البيان ٧/ ٥٧ .

(٣) نقله في زاد المسير ٤/ ٣٢٩ عن الواحدي ، وانظر : القرطبي ٩/ ٣١٨ .

(٤) تفسير مقاتل ١٩١أ ، وزاد المسير ٤/ ٣٢٩ ، والقرطبي ٩/ ٣١٧ ، والثعلبي ٧/ ١٣٧أ .

(٥) زاد المسير ٤/ ٣٢٩ ، والقرطبي ٩/ ٣١٧ ، والطبري ١٣/ ١٥٠ وابن جريج عن مجاهد ، وابن المنذر كما في الدر ٤/ ١١٦ ، والثعلبي ٧/ ١٣٧أ .

(٦) الطبري ١٣/ ١٥٠ ، وزاد المسير ٤/ ٣٢٩ ، وابن أبي حاتم وأبو الشيخ كما في الدر ٤/ ١١٦ ، والثعلبي ٧/ ١٣٧أ .

(٧) بياض في النسخ جميها ، وفي البخاري (٤١٨٠) ، (٤١٨١) في كتاب المغازي ، باب غزوة الحديبية ، وأحمد ٤/ ٣٣٠ وفيه : «فقال سهيل : أما الرحمن فوالله ما أدري ما هي ، ولكن اكتب : باسمك اللهم» . وفي الطبري ١٣/ ١٥٠ عن مجاهد : «ما ندري ما الرحمن اكتب باسمك اللهم» .

٣١. قوله تعالى : ﴿ وَلَوْ أَنَّ قُرْءَانًا سُيِّرَتْ بِهِ ٱلْجِبَالُ ﴾ الآية ، قال المفسرون[١] : قالت قريش للنبي ﷺ : إن كنت كما تقول فباعد عنا أخشبي هذه . يعنون جبلها فإنها ضيقة ، حتى نتخذ فيها قطائع وبساتين ، واجعل لنا[٢] فيها عيوناً وأنهاراً حتى نغرس ونزرع ، وابعث لنا آباءنا من الموتى يكلمونا ويخبرونا أنك نبي ، فأنزل الله : ﴿ وَلَوْ أَنَّ قُرْءَانًا سُيِّرَتْ بِهِ ٱلْجِبَالُ ﴾ أي جعلت تسير ، ﴿ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ ٱلْأَرْضُ ﴾ أي شققت ، فجعلت أنهاراً وعيوناً . وقيل : معناه : هو أنهم قالوا له : اجعلنا يخرج أحدنا إلى الشام أو إلى اليمن أو الحيرة ويرجع في ليلة ، كما خبرت أنك فعلته . فعلى هذا معنى (قطعت) من قطع المسافة ﴿ أَوْ كُلِّمَ بِهِ ٱلْمَوْتَىٰ ﴾ ؛ أي أُحْيُوا حتى كلموا ، وجواب (لو) محذوف : لَسُيِّرَ مَوْضِعُه ، وتلخيصه : ولو أن قرآنا فعل به ما التمسوا لكان هذا القرآن ، فلما عرف تأويله حذف اختصاراً ، هذا قول الفرَّاء[٣] والزَّجَّاج[٤] وابن الأنباري وأكثر أهل العلم .

وقال الفرَّاء : «وإن شئت جعلت جوابها متقدماً على تقدير : وهم يكفرون بالرحمن ، ولو أنزلنا عليهم ما سألوا»[٥] قال أبو بكر : «يعني به : هم يكفرون بالرحمن ، ولو أنزلنا عليهم الذي سألوا» ، قال أبو بكر[٦] : «يعني به : هم يكفرون ولو فعل بهم ذلك ، كما تقول : قد كنت هالكاً لولا أن فلاناً أنقذك ، يريد لولا

---

(١) روى الطبري ١٣/ ١٥١ ، ١٥٢ نحو هذا عن قتادة والضحاك وابن زيد وفي تفسير كتاب الله العزيز ٢/ ٣٠٩ عن الحسن .

(٢) (لنا) مكررة في (أ) .

(٣) معاني القرآن ٢/ ٦٣ .

(٤) معاني القرآن وإعرابه ٣/ ١٤٨ .

(٥) روى الطبري ١٣/ ١٥١ نحو هذا القول عن ابن عباس ومجاهد وعبدالله بن كثير .

(٦) زاد المسير ٤/ ٣٣١ .

إنقاذه إياك لهلكت» ، قال : «وهذا ضعيف ، لأنه ليس يكثر في كلامهم : زرتك لو زرتني ، وقصدتك لو قصدتني ، وهو على ضعفه غير خارج عن الصواب» .

وقال الزَّجَّاج[١] : «والذي أتوهمه أن المعنى : (ولو أن قرآناً- إلى قوله- الموتى) لما آمنوا» ، قال : «ودليل هذا القول [قوله : ﴿ وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَآ إِلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ ﴾ إلى قوله : ﴿ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ﴾ [الأنعام :١١١] ، فجعل الجواب المضمر هاهنا ما أظهر في][٢] قوله : ﴿ وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَآ ﴾ وهو قوله : ﴿ مَّا كَانُواْ لِيُؤْمِنُوٓاْ ﴾» ، وهذا الذي ذكره هو قول ابن عباس[٣] قال في قوله : ﴿ وَلَوْ أَنَّ قُرْءَانًا سُيِّرَتْ بِهِ ٱلْجِبَالُ ﴾ «يريد : لو قضيت أن لا يقرأ القرآن على الجبال إلا سارت ، ولا على الأرض إلا تخرقت ، ولا على الموتى إلا حيوا وتكلموا ، ما آمنوا ، لما سبق عليهم في علمي» .

وذكر الكسائي[٤] في جواب ﴿ لَوْ ﴾ هاهنا وجوهاً فاسدة يطول ذكرها وبيان فسادها فتركناها .

وقوله تعالى : ﴿ بَل لِّلَّهِ ٱلْأَمْرُ جَمِيعًا ﴾ معنى بل : نفي الأول وإثبات الثاني ، كأنه يقول : دع ذلك الذي قالوا من تسيير الجبال وغيره ، فالأمر لله جميعاً ، لو شاء أن يؤمنوا لآمنوا ، وإذ لم يشأ لا ينفع تسيير الجبال ، وما اقترحوا من الآيات ، وسياق الآية يدل على هذا المعنى وهو قوله : ﴿ أَفَلَمْ يَاْيْـَٔسِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن لَّوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَهَدَى ٱلنَّاسَ جَمِيعًا ﴾ ، قال ابن عباس[٥] في رواية عطاء : «أفلم يعلم» ، وقال

---

(١) معاني القرآن وإعرابه ٣/ ١٤٨ .

(٢) ما بين المعقوفين ساقط من (ج) .

(٣) الطبري ١٣/ ١٥١ نحوه . وانظر : الدر المنثور ٤/ ١١٧ .

(٤) إعراب القرآن للنحاس ٢/ ١٧٢ قال : «قال الكسائي : المعنى وددنا لو أن قرآنا سيرت به الجبال فهذا بغير حذف» اهـ .

(٥) الطبري ١٣/ ١٥٤ ، وزاد المسير ٤/ ٣٣١ ، والقرطبي ٩/ ٣٢٠ ، وابن المنذر وابن أبي حاتم كما في الدر ٤/ ١١٨ .

في مـــا روى الكلبي عنه[١] أيضاً : «ييئس : يعلـــم في لغة النَّخَع» ، وهذا قول أكثر المفسرين ، مجاهد[٢] والحســـن[٣] وقتادة[٤] وابن زيـــد[٥] ، واختلف أهل اللغة في هذا .

وقال أبو عبيدة[٦] والليث[٧] : «ألم ييئس : ألم يعلم» ، وأنشد أبو عبيدة[٨] :

أَقُولُ لَهُمْ بِالشِّعْبِ إِذْ يَأْسِرُونَنِي أَلَمْ تَيْأَسُـــوا أَنِّي ابْنُ فَـــارِسِ زَهْدَمِ

بمعنى : ألم يعلموا ، وأنشد الليث[٩] :

أَلَمْ يَيْأَسِ الْأَقْـــوَامُ أَنِّي أَنَـــا ابْنُـــهُ وَإِنْ كُنْتُ عَنْ أَرْضِ العَشِيرةِ نَائِيا

وقال قطرب[١٠] : «يئس : بمعنى علم ؛ لغة العرب» ، وأنشد البيت .

---

(١) تنوير المقباس ١٥٨ ، والطبري ١٣/ ١٥٣ ، وزاد المسير ٤/ ٣٣١ ، والثعلبي ٧/ ١٣٨أ .

(٢) الطبري ١٣/ ١٥٥ ، والقرطبي ٩/ ٣٢٠ .

(٣) زاد المسير ٤/ ٣٣١ ، والقرطبي ٩/ ٣٢٠ .

(٤) الطبري ١٣/ ١٥٥ ، وأبو الشيخ كما في الدر ٤/ ١١٨ ، وزاد المسير ٤/ ٣٣١ .

(٥) الطبري ١٣/ ١٥٥ ، وأبو الشيخ كما في الدر ٤/ ١١٨ ، وزاد المسير ٤/ ٣٣١ .

(٦) مجاز القرآن ١/ ٣٣٢ .

(٧) تهذيب اللغة (يئس) ٤/ ٣٩٩١ .

(٨) في مجاز القرآن ١/ ٣٣٢ نسبه لسحيم بن وثيل اليربوعي . وانظر : اللسان ٨/ ٤٩٤٦ ، وكان وقع عليه سباء فضرب عليه بالسهام ، وفي اللســـان ٨/ ٤٩٤٦ له أو لولده جابر بن سحيم . وفي البحر المحيط ٥/ ٣٩٢ لســـحيم ، وغير منســـوب في المعاني الكبير ٢/ ١١٤٨ لابن قتيبة ، وفي الميسر والقداح ٣٣ ، والطبري ١٣/ ١٥٣ ، والقرطبي ٩/ ٣٢٠ ونســـبه لمالك بن عوف النصرى ، ومشكل القرآن ١٩٢ ، وزهدم : فرس سحيم ، والكشاف ٢/ ٣٦٠ ، وتهذيب اللغة (يأس) ٤/ ٣٩٩١ ، والحجة ٤/ ٤٣٧ ، ومقاييس اللغة ٦/ ١٥٤ ، وديوان الأدب ٣/ ٢٥٨ ، والمخصص ١٣/ ٢٠ .

(٩) اختلف في نســـبة البيت ، فنســـبه القرطبـــي ٩/ ٣٢٠ ، وأبو حيـــان في البحر المحيـــط ٥/ ٣٩٢ إلى رياح بن عدي . وانظر : المحتســـب ١/ ٣٥٧ ، والدر المصون ٧/ ٥٣ ، والطبري ١٣/ ١٥٣ ، والحجة ٤/ ٤٣٨ ، وأساس البلاغة (يئس) بلا نسبة .

(١٠) انظر : الطبري ١٣/ ١٥٣ ، وتهذيب اللغة (يئس) ٤/ ٣٩٩١ .

وقال الكسائي[١] : «ما وجدت العرب تقول : يئست ، بمعنى علمت» ، قال : «وهذا الحرف في القرآن من اليأس المعروف لأمر[٢] العلم ، وذلك أن المشركين لما طالبوا رسول الله ﷺ بهذه الآيات اشرأب المسلمون بذلك ، وأرادوا أن يظهر لهم آية ليجتمعوا على الإيمان ، فقال الله تعالى : ﴿أَفَلَمْ يَايْئَسِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن لَّوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَهَدَى ٱلنَّاسَ جَمِيعًا﴾ كأنه قال ألم يعلموا علماً ييأسوا معه من أن يكون غير ما علموه ، وهو أن الله لو شاء لهداهم من غير ظهور هذه الآيات ، فأضمر العلم هاهنا مع اليأس ، كما أضمر في قولهم : يئست من غلامي أن يفلح ، وتأويله : يئست من غلامي علماً مني أنه لا يفلح ، وتلخيصه : قد علمت أن غلامي لا يفلح علماً أيأسني من غيره» ، وهذا قول الفرَّاء[٣] سواء .

وقال أبو إسحاق[٤] ثابتاً على هذا المعنى : «القول عندي أن معناه : أفلم ييأس الذين آمنوا من إيمان هؤلاء ؛ لأن الله لو شاء لهدى الناس جميعاً» .

قال أبو بكر ابن الأنباري : «وهذا القول مأخوذ من قول الكسائي والفرَّاء وأبي إسحاق ، هو معنىً وليس بتفسير ، كما قال الفرَّاء هو في المعنى على تفسيرهم ، أي أن المعنى يؤول إلى ما ذكروا ؛ لأن العلم بالشيء يوجب اليأس من خلافه» . ويدل على أن المراد هاهنا العلم ، ما روي أن ابن عباس كان يقرأ[٥] : (أفلم تيأس الذين

---

(١) معاني القرآن للنحاس ٣/ ٤٩٨ ، والبحر المحيط ٥/ ٣٩٢ .

(٢) كذا في جميع النسخ ولعلها : (لا من العلم) .

(٣) معاني القرآن ٢/ ٦٣ ، ٦٤ . وهو كذا في النسخ ، ولعل الصواب (وهذا وقول الفرَّاء سواء) .

(٤) معاني القرآن وإعرابه ٣/ ١٤٩ .

(٥) في الطبري ١٣/ ١٥٤ أن ابن عباس كان يقرؤها (أفلم يتبين) . . . إلخ ، وأخرجه ابن الأنباري في المصاحف كما في الدر ٤/ ٦٥٣ .
وقد روى الطبري ١٣/ ١٥٤ عن علي نحوه . وقد علق الشيخ أحمد شاكر ـ رحمه الله ـ على هذا الأثر وبين صحة إسناده . وأخبر أنه كتب رسالة مستقلة حول هذا الأثر المشكل وأشباهه .
وانظر : الثعلبي ٧/ ١٣٨أ ، وزاد المسير ٤/ ٣٣١ ، والقرطبي ٩/ ٣٢٠ وعلق بقوله : «وهو باطل عن ابن عباس ؛ لأن مجاهداً وسعيد بن جبير حكيا الحرف عن ابن عباس على ما هو في المصحف بقراءة أبي =

آمنوا) ، فقيل له : ﴿ أَفَلَمْ يَأْيَئِسِ ﴾ فقال : أظن الكاتب كتبها وهو ناعس ، يريد أنه كان في الخط بتاءين ، فزاد الكاتب سينة واحدة فصار (ييئس) فقرئ ييس .

وقوله تعالى : ﴿ أَن لَّوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ ﴾ قال أبو علي[١] : «﴿ أَن ﴾ هاهنا مخففة من الثقيلة وفيه ضمير القصة ، والحديث على تقدير : أنه لو يشاء ، كقوله : ﴿ عَلِمَ أَن سَيَكُونُ ﴾ [المزمل :٢٠] و﴿ أَفَلَا يَرَوْنَ أَلَّا يَرْجِعُ ﴾ [طه :٨٩] . على ذلك حسن وقوع الفعل بعدها ، لفصل الحرف بينهما وهو لو ولا والسين» .

وقوله تعالى : ﴿ وَلَا يَزَالُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ تُصِيبُهُم بِمَا صَنَعُوا۟ قَارِعَةٌ ﴾ قال ابن عباس[٢] في رواية عطاء «عذاب» ، قال المفسرون[٣] : أراد أنهم تصيبهم بما صنعوا ، والحُرَب[٤] من كفرهم وأعمالهم الخبيثة داهية تقرعهم ، ومصيبة شديدة من الأسر والقتل والجدب .

= عمرو ، وروايته عن مجاهد وسعيد بن جبير عن ابن عباس ، ثم إن معناه : أفلم يتبين ، فإن كان مراد الله تحت اللفظة التي خالفوا بها الإجماع فقراءتنا تقع عليها ، وتأتي بتأويلها ، وإن أراد الله المعنى الآخر الذي اليأس فيه ليس من طريق العلم فقد سقط مما أوردوا» اهـ .

وقال أبو حيان في البحر المحيط ٥/ ٣٩٣ : «وهذه القراءة ليس قراءة تفسير لقوله ﴿ أَفَلَمْ يَأْيَئِسِ ﴾ كما يدل عليه ظاهر كلام الزمخشري ، بل هي قراءة مسندة إلى الرسول ﷺ ، وليست مخالفه للسواد ، إذ كتبوا (ييئس) بغير صورة الهمزة ، وهذه كقراءة فتبينوا وفتثبتوا ، وكلتاهما في السبعة ، وأما قول من قال : إنما كتبه الكاتب وهو ناعس فسوى أسنان السين فقول زنديق ملحد» اهـ .

وقال الزمخشري في كشافه ٢/ ٣٦٠ : «وهذا ونحوه مما لا يصدق في كتاب الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، وكيف يخفى مثل هذا حتى يبقى ثابتاً بين دفتي الإمام ، وكان متقلباً في أيدي أولئك الأعلام المحتاطين في دين الله المهيمنين عليه ، لا يغفلون عن جلائله ودقائقه ، خصوصاً عن القانون الذي إليه المرجع والقاعدة التي عليها البناء ، هذه والله فرية ما فيها مرية» اهـ .

(١) الحجة ٤/ ٤٣٨ .

(٢) الطبري ١٣/ ١٥٦ ، وابن مردويه كما في الدر ٤/ ١١٩ ، وزاد المسير ٤/ ٣٣٢ .

(٣) الطبري ١٣/ ١٥٥ ، والثعلبي ٧/ ١٣٨ب ، وزاد المسير ٤/ ٣٣٢ ، والقرطبي ٩/ ٣٢١ .

(٤) (والحرب) كذا في النسخ جميعها ، ولعل هذه اللفظة في السطر الذي يليه كما في الوسيط . «بما صنعوا من كفرهم ، وأعمالهم الخبيثة داهية تقرعهم ، ومصيبة شديدة من الأسر والقتل والحرب والجذب» .

قال أبو إسحاق[١] : «ومعنى (قارعة) في اللغة : نازلة تنزل بأمر عظيم» .

وروي عن ابن عباس[٢] أيضاً في تفسير القارعة أنها السرايا التي كانت يبعث رسول الله ﷺ إليهم ، وهو اختيار الفرَّاء[٣] . ﴿ أَوْ تَحُلُّ قَرِيبًا مِّن دَارِهِمْ ﴾ ، التاء خطاب للنبي ﷺ في قول ابن عباس[٤] والفرَّاء[٥] والأكثرين ، وقال قتادة[٦] : «هي القارعة» ، وهو قول الحسن[٧] .

وقوله تعالى : ﴿ حَتَّىٰ يَأْتِيَ وَعْدُ ٱللَّهِ ﴾ قال ابن عباس في رواية عطاء : «يريد القيامة» ، وهو قول الحسن ، وقال قتادة[٨] : «يعني فتح مكة» .

٣٢. قوله تعالى : ﴿ وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ ﴾ ذكرنا معنى الاستهزاء في أول سورة البقرة[٩] .

---

(١) معاني القرآن وإعرابه ٣/ ١٤٩ .

(٢) الطبري ١٣/ ١٥٥ ، والفريابي وابن مردويه كما في الدر ٤/ ١١٩ ، والثعلبي ٧/ ١٣٨ب .

(٣) معاني القرآن ٢/ ٦٤ .

(٤) الطبري ١٣/ ١٥٦ ، والطيالسي ، وابن المنذر وابن أبي حاتم وأبو الشيخ وابن مردويه ، والبيهقي في الدلائل كما في الدر ٤/ ١١٩ ، والثعلبي ٧/ ١٣٨ب .

(٥) معاني القرآن ٢/ ٦٤ .

(٦) الطبري ١٣/ ١٥٧ ، والثعلبي ٧/ ١٣٨ب ، والقرطبي ٩/ ٣٢١ .

(٧) الطبري ١٣/ ١٥٧ ، وعبدالرزاق ٢/ ٣٣٧ ، وزاد المسير ٤/ ٣٣٢ ، والقرطبي ٩/ ٣٢١ .

(٨) عبدالرزاق ٢/ ٣٣٧ ، وتفسير كتاب الله العزيز ٢/ ٣١٠ ، والقرطبي ٩/ ٣٢١ .

(٩) عند قوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ ﴾ [آية : ١٤] ، وقال : «الهزء : السخرية ، يقول : هزئ به يهزأ ، وتهزأ به واستهزأ به ، وهو أن يظهر غير ما يضمر استصغاراً وعبثاً» .

وقوله تعالى : ﴿ فَأَمْلَيْتُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ أي أطلت لهم المدة بتأخير العقوبة ، قال ابن عباس : «ليتمادوا في معاصي الله» ، وذكرنا معنى الإملاء عند قوله : ﴿ أَنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ خَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْ ﴾[١] .

وقوله تعالى : ﴿ ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ ﴾ ؛ أي بالعقوبة ، ﴿ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ ﴾ قال ابن عباس[٢] : «يريد كيف رأيت ما صنعت بمن استهزأ برسلي ، كذلك أصنع بمشركي قومك» ، قال المفسرون : الآية تسلية للنبي ﷺ ، عما يلقى من سفهاء قومه من الكفر والاستهزاء ؛ بأنه قد قيل لأنبياء قبلك مثل هذا ، فاصبر كما صبروا حتى أذيق المستهزئين بك العذاب الأليم كسُنَّتي في الكذابين المستهزئين .

٣٣. قوله تعالى : ﴿ أَفَمَنْ هُوَ قَائِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ ﴾ الآية ، قال ابن عباس[٣] : «يريد نفسه تبارك وتعالى» ، قال ابن الأنباري[٤] وغيره : «وصف الله تعالى بالقيام ، ليس يراد به الانتصاب[٥] الذي هو من صفة الأجسام ، ولكن معناه التولي لأمور خلقه والتدبير للأرزاق والآجال وإحصاء الأعمال والجزاء ، كقوله تعالى : ﴿ قَائِمًا بِالْقِسْطِ ﴾ [آل عمران :١٨] ، أي والباء كذلك[٦] ، وقد يراد القيام في اللغة[٧] ولا يراد به الانتصاب ، كما يقال : فلان قائم بأمر الأيتام ، يعنون بالقيام الولاية

---

(١) آل عمران ١٧٨ . قال هنالك : (معنى (أملى) في اللغة نطيل ونؤخر ، والإملاء : الإمهال والتأخير ، قال ابن عباس : قوله : ﴿ إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ ﴾ يريد : تماديهم في معاصي الله) .

(٢) القرطبي ٩/ ٣٢٢ .

(٣) الطبري ١٣/ ١٥٩ ، وابن مردويه كما في الدر ٤/ ١١٩ ، وزاد المسير ٤/ ٣٣٣ ، وتفسير كتاب الله العزيز ٢/ ٣١١ عن الحسن .

(٤) زاد المسير ٤/ ٣٣٣ . بنحوه .

(٥) لم يرد دليل على نفي الانتصاب ، فالنفي يحتاج إلى دليل ، كما أن الإثبات كذلك .

(٦) في (ب) : (لذلك) .

(٧) انظر : مقاييس اللغة ٥/ ٤٣ ، وتهذيب اللغة (قوم) ٣/ ٢٨٦٤ .

لأمورهم» ، والمعنى هاهنا : أفمن هو قائم بالتدبير على كل نفس بجزاء ما كسبت ، وتلخيصه : أفمن هو مجاز كل نفس بما كسبت ، وحكى أبو بكر عن بعض اللغويين أن معناه : أفمن هو عالم بكسب كل نفس واحتج بقول الشاعر[١] :

فَلَوْلا رِجالٌ مِنْ قُرَيْشٍ أَعِزَّةٌ سَرَقْتُمْ ثِيَابَ البَيْتِ وَاللهُ قائِمُ

أراد : والله عالم ، قال أبو بكر : «وهذا القول أثبت» ، قال الفرَّاء[٢] وغيره : «وحذف خبر (من) لبيان موضعه» ، وتلخيصه : أفمن هو قائم على كل نفس بما كسبت ، كمن ليس بهذه الصفة من الأصنام التي لا تنفع ولا تضر .

قال الفرَّاء : «قد بينه ما بعده إذ قال : ﴿ وَجَعَلُوا۟ لِلَّهِ شُرَكَآءَ ﴾ كأنه في المعنى : كشركائهم[٣] الذين اتخذوهم» ، وقال صاحب النظم : جواب قوله : ﴿ أَفَمَنْ هُوَ قَآئِمٌ ﴾ مضمَّن[٤] في ما بعده ؛ لأنه لما قال : ﴿ وَجَعَلُوا۟ لِلَّهِ شُرَكَآءَ ﴾ صار بدلالته على الجواب كأنه ذكر ، كقوله تعالى : ﴿ أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَـٰمِ ﴾ [الزمر :٢٢] ، ولم يجئ له جواب حتى قال : ﴿ فَوَيْلٌ لِّلْقَـٰسِيَةِ قُلُوبُهُم ﴾ فصار هذا يدل على الجواب ؛ لأن تأويله : أفمن شرح الله صدره للإسلام كمن قلبه قاس .

وقوله[٥] : ﴿وَجَعَلُوا۟ لِلَّهِ شُرَكَآءَ﴾ وقع هذا موقع جواب (أفمن) على ما ذكره الفرَّاء في المعنى .

---

(١) لم اهتد إلى قائله ، وهو غير منسوب في النكت والعيون ٣/ ١١٤ ، والقرطبي ٩/ ٣٢٢ .

(٢) معاني القرآن ٢/ ٦٤ .

(٣) في (ح) : (كثير كأنهم) .

(٤) في (ب) : (مضمر) .

(٥) في (ب) : (وقوله تعالى) .

وقوله تعالى : ﴿ قُلْ سَمُّوهُمْ ﴾ ليس يريد بهذا أن يذكروا أسماءهم التي جعلوها لهم كاللات والعزى ؛ لأنه لا يكون في هذا احتجاج عليهم ، ولكن المعنى سموهم بما يستحقون من الأسماء التي هي صفات ، ثم انظروا هل تدل صفاتهم على أنه يجوز أن يعبدوا أم لا ؟ وهذا تنبيه على أنهم مبطلون ؛ لأن المعنى يؤول إلى أن الصنم لو كان إلهاً لتصور منه أن يخلق ويرزق ويحيي ويميت ، ولحسن حينئذٍ أن يسمى بالخالق والرازق ، فكأن الله تعالى قال : قل سموهم بإضافة أفعالهم إليهم إن كانوا شركاء[١] لله تعالى ، كما يضاف[٢] إلى الله تعالى أفعاله بالأسماء الحسنى[٣] .

وقوله تعالى : ﴿ أَمْ تُنَبِّئُونَهُۥ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ يجوز أن يكون (أم) هاهنا عاطفة على استفهام متقدم في المعنى ، وذلك أن قوله : ﴿ قُلْ سَمُّوهُمْ ﴾ معناه : ألهم أسماء الخالقين ؛ لأن المراد في أمرهم بالتسمية الإنكار عليهم أنه ليس للأصنام أسماء الخالقين ولا صفاتهم ، والإنكار صورته صورة الاستفهام . ويجوز أن يكون (أم) استفهاماً مبتدأ به منقطعاً مما قبله كقوله : ﴿ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ﴾ [يونس :٣٨] وليس قبله استفهام ، وذكرنا هذا قديماً ، وتأويل الآية هاهنا : فإن سموهم بصفات الخالقين قل أتنبئونه بما لا يعلم في الأرض ؟ ومعنى هذا : أنهم كانوا يزعمون أن لله شركاء ، والله تعالى لا يعلم لنفسه شريكاً ، فقال : أتنبئون الله بشريك له في الأرض وهو لا يعلمه ؟

ومعنى ﴿ بِمَا لَا يَعْلَمُ ﴾ ؛ أي بما يعلم أنه ليس . فالنفي وإن دخل على العلم ؛ فالمراد به نفى ذلك المعلوم ؛ لأنه لا يجوز أن ينتفي العلم عن الله تعالى ، وقال صاحب النظم : «وقد قيل : إن (يعلم) هاهنا فصل عطل عن المعنى ، (ولا) بمنزلة ليس ، على تأويل : أم تنبئونه بما ليس في الأرض ، وخص الأرض بنفي

---

(١) في (ب) : (شركاء الله) .

(٢) في (ب) : (كأنصاف) .

(٣) زاد المسير ٤/ ٣٣٣ . بنحوه .

الشريك عنها ، وإن لم يكن له شريك في غير الأرض ، لأنهم ادعوا له شركاء في الأرض لا في غيرها» .

وقوله تعالى : ﴿أَم بِظَٰهِرٍ مِّنَ ٱلْقَوْلِ﴾ يعني أم يقولون مجازاً من القول وباطلاً لا حقيقة له ، والباء في قوله : ﴿بِظَٰهِرٍ﴾ لا يكون من صلة الشبه ، بل هي من صلة القول المضمر على معنى : أم يقولون بظاهر من القول ، وفسر الظاهر هاهنا تفسيرين أحدهما : أن معناه أنه كلام ظاهر ، وليس له في الحقيقة باطن ومعنى رجوع إلى حقيقة ، والثاني أن معناه الباطل الزائل[١] ، من قولهم[٢] ظهر عني هذا العيب ، أي لم يعلق بي ، ونبا عني ، ومنه قول أبي ذؤيب[٣] :

وَتِلْكَ شَكَاةٌ ظَاهِرٌ عَنْكَ عَارُها

أي باطل وزائل ، وهذا الوجه اختيار صاحب النظم .

وقوله تعالى : ﴿بَلْ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ مَكْرُهُمْ﴾ معنى (بل) هاهنا كأنه يقول دع ذكر ما كنا فيه ؛ زين لهم مكرهم ، كقول لبيد[٤] :

بَلْ ما تَذَكَّرُ مِنْ نَوَارَ وَقَدْ نَأَتْ وَتَقَطَّعَتْ أَسْبَابُها ورِمَامُهَا

---

(١) تفسير كتاب الله العزيز ٢/ ٣١١ وذكر عن الكلبي نحوه .

(٢) تهذيب اللغة (ظهر) ٣/ ٢٢٥٩ .

(٣) البيت في شرح أشعار الهذليين للسكري ١/ ٧٠ ، وصدره :
وَعَيَّرَهَا الْوَاشُونَ أَنِّي أُحِبُّهَا
وفي اللسان (ظهر) ٥/ ٢٧٦٩ ، (وشكا) ٤/ ٢٣١٤ ، والتنبيه والإيضاح ٢/ ١٥٩ ، وتاج العروس (ظهر) ٧/ ١٧٥ ، ومقاييس اللغة ٣/ ٢٧٢ ، وتهذيب اللغة ٣/ ٢٢٥٩ ، وبلا نسبة في تهذيب اللغة (ظهر) ٣/ ٢٢٥٩ ، ومجمل اللغة ٢/ ٦٠٣ .

(٤) ديوانه ١٦٦ ، وتهذيب اللغة (سبب) ٢/ ٦٠٦ ، (سبب) ٣/ ٢٩٩٤ ، واللسان (قطع) ٦/ ٣٦٧٤ ، وبلا نسبة في اللسان (سبب) ٤/ ١٩١٠ ، وتاج العروس (سبب) ٢/ ٦٦ .

كأنه كان في ذكر شيء فتركه وعاد إلى ذكر هذه المرأة ، كذلك الله تعالى ترك ذكر الاحتجاج عليهم ، وبين سبب كفرهم وإقامتهم على ذلك ، بقوله : ﴿ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ مَكْرُهُمْ ﴾ قال ابن عباس[١] : «يريد زين الشيطان لهم الكفر» ، ففسر المكر بالكفر ؛ لأن مكرهم بالرسول وبما جاء به كفر منهم .

وقوله تعالى : ﴿ وَصُدُّواْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ ﴾ قال ابن عباس[٢] : «وصدهم الله عن سبيل الهدى» ، وضم الصاد قراءة[٣] أهل الكوفة ، واختيار أبي عبيد[٤] ، قال : «لأنه قراءة أهل السنة ، وفيه إثبات القدر»[٥] ، يعني أن تفسيره يكون على ما ذكره ابن عباس ، وهذه القراءة حسنة لمشاكلة ما قبلها من بناء الفعل للمفعول ، ومن قرأ بفتح الصاد فالمعنى : أنهم صدوا غيرهم عن الإيمان ، يقال : صد وصددته ، مثل : رجع ورجعته ، ودليل هذه القراءة قوله : ﴿ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾[النحل :٨٨ ، ومحمد :١] . وقوله تعالى : ﴿ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴾ الوقف على هذا بسكون الدال من غير إثبات ياء قراءة أكثر[٦] القراء ، وكذلك : وال ، وواق ، وهو الوجه ، لأنك تقول في الوصل : هذا قاض وهاد وواق ، فتحذف الياء لسكونها والتقائها مع التنوين ، فإذا وقفت فالتنوين يحذف في الوقف (في

---

(١) زاد المسير ٤/ ٣٣٣ . نوار : اسم امرأة . نأت : ابتعدت . تقطعت أسبابها : حبالها . والرمام : الحبال الضعاف التي خلقت ، والقرطبي ٩/ ٣٢٣ ، وتفسير كتاب الله العزيز ٢٠/ ٣١١ عن مجاهد .

(٢) تنوير المقباس ١٥٨ بنحوه ، وزاد المسير ٤/ ٣٣٤ ، والقرطبي ٩/ ٣٢٣ .

(٣) قرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو وابن عامر (وصَدُّوا) بفتح الصاد ، وقرا عاصم وحمزة والكسائي (وصُدُّوا) بالضم .
انظر : السبعة ٣٥٩ ، والإتحاف ١٣/ ١٦١ ، والطبري ١٦/ ٤٦٧ ، والقرطبي ٩/ ٣٢٣ ، وزاد المسير ٤/ ٣٣٣ ، والبحر المحيط ٥/ ٣٩٥ .

(٤) في (أ) و(ج) : (أبي عبيدة) . بالهاء .

(٥) الثعلبي ٧/ ١٣٩أ .

(٦) الحجة ٥/ ٢٣ ، ٢٤ . بنحوه . وعامة القراء على هذه القراءة ، وابن كثير وحده يقف على الهاء . انظر : السبعة ٣٦٠ .

الرفــع والجر ولا يبدل منه شيء ، والياء قد كانت انحذفت في الوصل ، فيصادف الوقــف)[١] الحركــة التي هي كسرة في عــين فاعل ، فتحذفها كما تحذف ســائر الحــركات التي تقف عليها ، فإذا حذفتها ســكن الحــرف في الوقف ، كما كانت تســكن ســائر المتحركات فيه ، فيصير : داع وهاد ، وكان ابن كثير يقف بالياء : هــادي ووالي وواقي[٢] ، ووجه ذلك ما حكى ســيبويه أن بعض من يوثق به من العرب يقول : هذا داعــي وعمي ، فيقفون بالياء ، ووجه ذلك أنهم كانوا حذفوا الياء في الوصل ، لالتقائها مع التنوين ســاكنة ، وقــد أمن[٣] في الوقف أن يلحق التنوين ، فإذا أمن الــذي[٤] كان الياء حذفت في الوصل من أجل التقائها ، ردت اليــاء فصار : هذا قاضي وداعي[٥] ، ومن ثم قال الخليل في نداء قاض ونحوه : يا قاضي ، بإثبات الياء ؛ لأن النداء موضع لا يلحق فيه التنوين ، فإذا لم يلحق لم يلتق ســاكن مع التنوين ، فيلزم حذفها فثبتت الياء في النداء ، لما أمن من لحاق التنوين فيــه كما يثبت مع الألف واللام ، لما أمن التنوين معها ، في نحو (المتعالي) [الرعد :٩] و(دعوة الداعي) [البقرة :١٨٦] ، والأول أكثر في استعمالهم[٦][٧] .

٣٤. قولــه تعــالى : ﴿ لَّهُمْ عَذَابٌ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ﴾ قال ابن عبــاس[٨] : «يريد الإسقام والقتل والأسر» ، ﴿ وَلَعَذَابُ ٱلْآخِرَةِ أَشَقُّ ﴾ ؛ أي أشد وأغلظ .

---

(١) ما بين القوسين ساقط من (ب) .

(٢) انظر : السبعة ٣٦٠ .

(٣) في (ب) : (أمر) .

(٤) في الحجة : «فإذا أمن التنوين الذي كانت الياء حذفت في الوصل من أجل التقائها معها في الوصل» .

(٥) في الحجة : «هادي ، والأول أكثر في استعمالهم» .

(٦) في الحجة : «كذلك تثبت في النداء لذلك» .

(٧) آخر النقل عن الحجة ٥/ ٢٣ ، ٢٤ . بنحوه .

(٨) الثعلبي ٧/ ١٣٩أ ، وزاد المسير ٤/ ٣٣٤ ، والقرطبي ٩/ ٣٢٤ من غير نسبة .

قال أهل المعاني : المشقة غلظ الأمر على النفس ، بما يكاد يصدع القلب ، فهو من الشق بمعنى الصدع . ﴿وَمَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ﴾ ؛ أي من عذاب الله ﴿مِن وَاقٍ﴾ ؛ أي حاجز ومانع يمنعهم ذلك ، يقال : وقاه الله السوء يقيه وقياً ، أي دفعه عنه ، ومثله الوقاية ، ويقال لكل ما يدفع الأذية : وقاً ووقاية ، حتى النعل وقاية للرِّجْل ، ومعنى قوله : ﴿وَمَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن وَاقٍ﴾ أن عذاب الآخرة لا يدفعه عنهم دافع ، وأنهم فيه خالدون .

٣٥. قوله تعالى : ﴿مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ﴾ الآية ، اختلفوا في معنى قوله : ﴿مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ﴾ وفي وجه ارتفاعه ، فقال سيبويه[١] : «المعنى : في ما نقصُّ عليكم مثل الجنة في ما نقص عليكم ، فرفعه عنده على الابتداء والخبر محذوف» ، هذا حكاية الزَّجَّاج عنه[٢] ، وقال ابن الأنباري[٣] محققاً هذا القول : «المثل خبره مضمر قبله ، يراد به : في ما نصف لكم مثل الجنة ، في ما نقصه من القرآن خبر الجنة ، والمثل (على هذا القول معناه الحديث نفسه ، قاله الليث»[٤] . واحتج بهذه الآية وقال : «(مثلها) هو الخبر)[٥]» ، وهذا القول اختيار أبي العباس ، قال أبو بكر : «سمعت أبا العباس أحمد بن يحيى يذكر هذا ويصححه» .

وقال المبرِّد[٦] في كتاب المقتضب : «التقدير : في ما يتلى عليكم مثل الجنة» ، واختار أبو علي الفارسي هذا القول ودفع ما سواه ، وقال : «المثل في الآية بمعنى

(١) القرطبي ٩/ ٣٢٤ .
(٢) معاني القرآن وإعرابه ٣/ ١٤٩ .
(٣) زاد المسير ٤/ ٣٣٤ .
(٤) تهذيب اللغة (مثل) ٤/ ٣٣٤١ .
(٥) ما بين القوسين ساقط من (أ) و(ج) .
(٦) المقتضب ٣/ ٢٢٥ ، ونقله عنه الأزهري في التهذيب (مثل) ٤/ ٣٣٤١ .

الشبه ، وتعلق قوله : ﴿ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ﴾ بما قبله على وجه التفسير له[١] ، كما أن قوله : ﴿ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ﴾ بعد قوله : ﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ ﴾ [آل عمران :٥٩] تفسير للمثل ، وكما أن قوله : ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ ﴾ [المائدة :٩] الجملة الثانية تفسير للوعد ، ومن ذلك قوله : ﴿ يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِىٓ أَوْلَٰدِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ ٱلْأُنثَيَيْنِ ﴾ [النساء :١١] الجملة الثانية تفسير للوصية ، وكذلك ﴿ فِيهَآ أَنْهَٰرٌ ﴾ [محمد :١٥] و﴿ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ﴾ [الرعد :٣٥] تفسير للمثل ، ومثله قوله : ﴿ مَّثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمْ أَعْمَٰلُهُمْ كَرَمَادٍ ﴾ [إبراهيم :١٨] فقوله : ﴿ أَعْمَٰلُهُمْ كَرَمَادٍ ﴾ تفسير للمثل» .

وقال قوم : المثل هاهنا بمعنى الصفة ، قالوا : ومعناها صفة الجنة التي وعد المتقون ، قال محمد بن سلام[٢] : «أخبرني عمر[٣] بن أبي خليفة قال : سمعت مقاتلاً صاحب التفسير يسأل أبا عمرو بن العلاء عن قوله : ﴿ مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ ﴾ ما مثلها ؟ قال : ﴿ فِيهَآ أَنْهَٰرٌ مِّن مَّآءٍ غَيْرِ ءَاسِنٍ ﴾ قال : ما مثلها ؟ فسكت أبو عمرو . قال : فسألت يونس عنها ، فقال : مثلها صفتها» ، قال محمد بن سلام : «ومثل ذلك قوله تعالى : ﴿ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ ﴾ [الفتح :٢٩] أي صفتهم» ، قال الأزهري[٤] : «ونحو ذلك روي عن ابن عباس» ، وأما جواب أبي عمرو لمقاتل ، فإنه أجابه جواباً مقنعاً ، ولما رأى نَبْوةَ فَهْم مقاتل عما أجابه ، سكت عنه ، لما وقف عليه من غلظة فهمه ، وأراد أبو عمرو : صفتها أن الأنهار تجري من تحتها ، وأن فيها أنهاراً من ماء غير آسن .

---

(١) (له) : ساقط من (ج) .

(٢) تهذيب اللغة (مثل) ٤/ ٣٣٤١ .

(٣) في (ب) : (عن) .

(٤) تهذيب اللغة (مثل) ٤/ ٣٣٤١ .

قال ابن الأنباري : «وعلى هذا القول المثل ابتداء وخبره ﴿ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ﴾ . وهو الرافع له ؛ لأن المثل معناه الصفة ، وصفة الجنة في المعنى قول مقول ، وكلام معقول مفهوم ، فجرى مجرى القول في صفة الجنة تجري من تحتها الأنهار ، كما تقول : قولي بقول عبيدالله ، وقولي ينصفك الأمير ، (فيكون : ينصفك الأمير)[١] خبر القول ، ولا ذكر له فيه ، لأنه بمعنى قولي هذا الكلام ، فسَدَّ (ينصفك الأمير) مَسَدَّ هذا الكلام ، وسَدَّ (تجري من تحتها الأنهار) مَسَدّ مثل الجنة ، هذا الوصف الذي تخبرون به ، وهذا الوصف الذي تسمعونه» ، هذا كلام أبي بكر ، وقال ابن قتيبة[٢] : «معنى المثل : الشبه في أصل اللغة ، ثم قد يصير بمعنى صورة الشيء وصفته ، وكذلك المثال والتمثال ، يقال : مثلت لك كذا ، أي صورته ووصفته»[٣] ، فأراد الله بقوله : (مثل الجنة) ؛ أي صورتها وصفتها ، ومثله قوله : ﴿ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ ﴾ [الفتح :٢٩] ؛ أي ذلك وصفهم ، لأنه لم يضرب لهم مثلاً في أول الكلام ، ويؤيد هذا المعنى ما حكاه الفرَّاء[٤] بإسناده ، أن عليّاً -رضي الله عنه- قرأ : (أمثال الجنة) ، قال الفرَّاء : «يقول : صفات الجنة ، فجمع الأمثال لما أتت بعدها أوصاف ، ومثل هذا من الكلام قول العرب : حلية فلان أسمر . أي القول في وصفه هذا ، فأسمر يرتفع بإضمار هو» .

وأنكر المبرِّد[٥] هذا القول ، وقال : «من قال : إن معناه صفة الجنة ، فقد أخطأ ، (مثل) لا يوضع موضع صفة ؛ إنما يقال : صفة زيد أنه ظريف وأنه عاقل ، ولا يقال : زيد مثل فلان ، إنما المثل مأخوذ من المثال ، والصفة تحلية ونعت» .

---

(١) ما بين القوسين ساقط من (ب) و(ج) .

(٢) مشكل القرآن وغريبه ٢٣٥ .

(٣) إحدى الواوين ساقطة من (ب) .

(٤) معاني القرآن ٢/ ٦٥ ، والقراءة في الكشاف ٢/ ٣٦٢ .

(٥) تهذيب اللغة (مثل) ٤/ ٣٣٤١ .

قال أبو علي[١] : «قول من قال : معنى (مثل الجنة) ؛ صفة الجنة ، غير مستقيم ، ودلالة اللغة تدفع ذلك ، ولا يوجد المثل في اللغة بمعنى الصفة ، إنما معنى المثل الشبه ، في جميع مواضعه ومتصرفاته ، من ذلك قولهم : ضربت مثلاً ، فالمثل إنما هو الكلمة التي يرسلها قائلها محكمة[٢] ليشبه بها الأمور ، ويقابل بها الأحوال ، ومن ذلك قولهم للقصاص : المثال ، وتماثل العليل ، إذا تقاربت أحواله أن تشابه أحوال الصحة ، والطريقة المثلى ، إنما هي المشبهة الصواب ، ولن يقدر أحدٌ أن يوجدنا استعمال العرب المثل بمعنى الصفة في كلامهم . والذين قالوا : المثل هاهنا بمعنى الصفة ، قوم من رواة اللغة غير مدفوعي القول إذ رووا شيئاً عن أهل اللغة ، ولم يقولوه من جهة النظر والاستدلال ، وقولهم : ﴿مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ﴾ صفة الجنة ، لم يروه عن[٣] رواية ، إنما قالوه متداولين[٤] ، ولم يروه عن أهل اللسان ولا أسندوه إليهم ، فهذا امتناعه من جهة اللغة ، ولا يستقيم أيضاً من جهة المعنى ، ألا ترى أن (مثل)[٥] إذا كان بمعنى الصفة كان تقدير الكلام : صفة الجنة فيها أنهار ، وهذا قول غير مستقيم ؛ لأن الأنهار في الجنة نفسها ، لا في صفتها ، وصفتها لا يجوز أن يكون فيها أنهار ، وأيضاً فإنه إذا احتمل المثل على معنى الصفة ، وأجري في الإخبار عنه مجراها ، وأنِّث الراجع إليه الذي هو (فيها) في سورة محمد ﷺ ، و﴿تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ﴾ في هذه السورة ، فقد حمل الاسم على المعنى فأنَّث ، وهذا قبيح ضعيف يجيء في ضرورة الشعر . نحو : (ثلاث

(١) النقل من الإغفال للفارسي ٢/ ٩١٠ .
(٢) في الإغفال ٢/ ٩١٢ : «محكية» .
(٣) (عن) ساقط من : (ب) .
(٤) في الإغفال ٢/ ٩١٤ : «متأولين» .
(٥) في الإغفال ٢/ ٩١٤ : «أن مثلاً» .

شـــخوص)[١][٢] ، عشر أبطن[٣] ، وإذا كان كذلك لم يسع[٤] الحمل على ما قالوه ، ولأن خبر المبتدأ لا يخلو من أن يكون المبتدأ في المعنى ، أو يكون له فيه ذكر ، وليس قوله : ﴿ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ﴾ من أحد الخبرين ، فلم يكن خبر المبتدأ ما ذكروه ، ولكن ما ذهب إليه ســيبويه[٥] من أن المعنى : في ما نَقُصُّ عليكم مثل الجنة ، فقال قوم : قوله : ﴿ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ﴾ خبر عن المضاف إليه ، وهو الجنة ، يرى الخبر عن المضاف الذي هو مثل ، ومثل ذلك جائز في الكلام ، كقوله[٦] :

لَوْ أَنَّ عُصْمَ عَمَـايَتَيْنِ وَيَـذْبُـلٍ سَمِعَـا حَـديثَكِ أَنْزَلا الْأَوْعَالا[٧]

فأخبر عن العمايتين بقوله : سمعا ، ولم يخبر عن العُصْم» . قال أبو علي : «لا يجوز أن يُذْكر اســمٌ ولا يخبر عنه ، ويترك متعلقاً[٨] مضرباً عن الحديث عنه ، ولم يجئ ذلك عندنا في شيء من كلامهم ، وليــس تأويل هذا البيت على ترك الإخبار عن المضاف ،

---

(١) (شخوص) ساقط من (ج) .

(٢) هذه قطعة من بيت لعمر بن أبي ربيعة ، والبيت بتمامه :

فَكانَ مجَنّي دونَ مَــن كُنــتُ أَتَّقي ثَــلاثُ شُـخـوصٍ كـاعِـبـانِ وَمُـعـصِرُ

انظــر : ســيبويه ٢/ ٢٠٤ ، والخصائــص ٢/ ٤١٧ ، والأشــموني ٣/ ٦٣٠ ، وديوانــه :١/ ٣ ط . أوربــا ، والمذكــر والمؤنــث للمــبرِّد ١٠٨ـ١١٣ ، والإنصــاف ٦١٩ ، وأوضح المســالك : ٢٤٨ـ٢٥٠ ، والمقتضب ٢/ ١٤٨ ، والمخصص ٩/ ٤ ، ١٧/ ١١٧ ، والخزانة ٣/ ٣١٢ .

(٣) هذه قطعة من بيت لرجل يقال له النواح من بني كلاب ، والبيت بتمامه :

فـإنَّ كلابــا هــذه عَــشْرُ أَبْطُنٍ وأنــت بــريء مــن قبائلها الـعَـشْرِ

المخصص ١٢/ ١٥٤ ، وسيبويه ٢/ ٢٠٣ ، والمذكر والمؤنث للمبرِّد ١٠٨ ، والعين ٤/ ٤٨٤ .

(٤) في (ج) : (يسمع) .

(٥) انظر : الكتاب ١/ ٩٠ .

(٦) البيــت لجرير بن عطيــة الخطفي . انظر : ديوانــه ٣٦٠ ، طبعة نعمان وفيه : (ســمعت حديثك أنزل الأوعــالا) ، وشرح ابــن يعيش ١/ ٤٦ ، والمخصص ٨/ ١٦٨ غير منســوب ، والأشــباه والنظائر ٥/ ٦٥ ، وأمالي ابن الحاجب ٢/ ٦٦٠ ، وسر صناعة الإعراب :١/ ٤٦٢ ، وهمع الهوامع ١/ ٤٢ .

(٧) في (ج) : (الأومالا) .

(٨) في الإغفال ٢/ ٩١٨ : (معلقاً) .

وإنما المعنى : لو أن عصم عمايتين ، وعصم يذبل ، فحذف المضاف[١] يجري ذكره ، والدلالة عليه بالإخبار عنه بعده ، وأجري الإخبار عنهما على لفظ الشبه إذ كانا جميعين[٢] ، لأنهما أجريا مجرى القبيلين ، كقوله تعالى : ﴿ أَنَّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا ﴾ [الأنبياء :٣٠] وقوله تعالى : ﴿ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا ﴾ [الحجرات :٩] وكقوله[٣] :

إِنَّ الْمَنِيَّةَ وَالْحُتُوفَ كِلاهما توفي الْمَخَارِمَ يَرْقُبَانِ سَوادِيَا

وأبو بكر بن الأنباري يقوي هذه الطريقة ، ويقول : «يجوز أن يذكر اسمان ثم يخبر عن الثاني ، ويسد الخبر عن الثاني مسد الخبر عن الأول ، كما قالوا : كأنك بالدنيا لم تكن وبالآخرة لم تزل ، فجعلوا الخبر عن الدنيا خبراً عن الكاف ، ومنه قوله تعالى : ﴿ وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَٰجًا يَتَرَبَّصْنَ ﴾ [البقرة :٢٣٤] صرف خبر الذين إلى الأزواج» ، وذهب قوم إلى أن المثل دخل توكيداً للكلام ، والمعنى : الجنة التي وعد المتقون تجري من تحتها الأنهار ، فأكد الكلام بالمثل ، كقوله تعالى : ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ﴾ [الشورى :١١] أي كهو ، وعلى هذا المثل يكون لغواً وزيادة كما تقول في الفصل في قوله : ﴿ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْمُفْسِدُونَ ﴾ [البقرة :٥ ، ١٢] . وقوله تعالى : ﴿ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ هُوَ خَيْرًا ﴾ [المزمل :٢٠] .

قال أبو علي : «كون المثل لغواً والحكم عليه بهذا فاسد غير سائغ[٤] ؛ لأنه لا دلالة عليه ولا شاهد له ، والقياس على الفصل غير جائز لقِلته ، ولأن الفصل مضمر غير معرب ، وقد قامت الدلالة على أن الفصل لا موضع له من

---

(١) في الإغفال ٢/ ٩١٨ : «فحذف المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه لم يجر في ذكره ، والدلالة عليه به ، وبالأخبار الذي يجيء عنه بعده . .» .

(٢) في الإغفال ٢/ ٩١٨ : (واحد إذا كانا جمعين) .

(٣) القائل هو الأسود بن يعفر . ديوانه ٢٦ ، وخزانة الأدب ٧/ ٥٧٥ ، وشرح شواهد المغني ٢/ ٥٥٣ ، ومغني اللبيب ١/ ٢٠٤ (يوفي المنية) بدل (توفي المخارم) ، وخزانة الأدب ٣/ ٣٨٥ (يوفي) ، والمفضليات ٢١٦ (يوفي) ، ومنتهى الطلب ١/ ٨١ (كليهما) ، والسمط (يوفي) ١/ ١٧٤ ، ٢٦٨ .

(٤) في (ب) : (غير شائع) .

الإعـــراب ، و(مثل الجنة) مظهر معرب فلا يشـــبه الفصـــل ، ألا ترى أن (مثل) هاهنـــا يرتفع[١] بالابتـــداء ، (وإذا ارتفع بالابتداء)[٢] ، فقـــد اقتضى خبراً لآية[٣] يرتفـــع بكونه مُحَدَّثاً عنه ، كما يرتفع الفاعـــل بذلك ، فلو جاز وجود مبتدأ لا خبر لـــه ، لجاز وجود فاعل لا فعل له ، وإذا اســـتحال هذا في الفاعل كان اســـتحالته في الابتداء مثله» .

وأمـــا قولـــه : ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ فليس مثل لغواً ، إنـــما الكاف الملغى عندنـــا ، والحكم بزيادة الكاف أولى ، لأنه حـــرف ، والحرف يكون زيادة كثيرة ، وليس الأسماء بمنزلها ، وقد وجدت الكاف زائدة في مواضع كقول رؤبة[٤] :

لَوَاحِقُ الْأَقْرابِ فيها كَالْـمَقَـق و . . . كَكَـــــما يُـؤَثْفِـــين[٥]

(١) في الإغفال ٢/ ٩٢٠ : (لا يرتفع) بزيادة (لا) .

(٢) ما بين القوسين ساقط من (ج) .

(٣) في الإغفال ٢/ ٩٢٠ : (خبراً لأنه) .

(٤) ديوانه ١٠٦ ، والعـين ٣/ ٢٩٠ ، والخزانة ٤/ ٢٦٦ ، وسر صناعة الإعراب ٢٩٢ ، وبغير نسـبة في المقتضب ٤/ ٤١٨ ، والمسائل البغداديات ٤٠٠ .
قاله يصف خيلاً . لواحق : ضوامر . والأقراب : جمع قرب ، والقرب الخاصرة .

(٥) البيت لخطام المجاشعي ، ولعل قبله سقطاً وأوله :
وَصَالِيات كَكَما يُؤْثَفَيْن
انظـر : الكتـاب ١/ ١٣ ، ٢٠٣ ، ٢/ ٣٣١ ، والمغني ٤/ ٥٩٢ ، والخزانة ١/ ٣٦٧ ، وغير منسـوب في معـاني الأخفش ٣٠٣ ، والمقتضب ٢/ ٩٥ ، ومجالس ثعلـب ٣٩ ، وسر صناعة الإعراب ٢٨٢ ، والمحتسـب ١/ ١٨٦ . والصاليات : الأثافي ، وهي من صليت بالنار ؛ أي أحرقت حتى اسـودت . ويؤثفين : يجعلن أثافي للقدر .

وقول لبيد[١] :

. . . . . في مِرْفَقَيْها كَالفَتَل

وإذا كان كذلك كان الحكم بزيادة الكاف أولى ، بل لا يجوز غيره ، فيكون المعنى : ليس مثله شيء ، وقال أبو إسحاق[٢] : «والذي عندي -والله أعلم- أن عرفنا أمور الجنة التي لم نرها ولم نشاهدها ، بما شاهدنا من أمور الدنيا وعاينا ، فالمعنى مثل الجنة التي وعد المتقون جنة تجري من تحتها الأنهار» ، قال أبو علي[٣] : «وهذا أيضاً ليس بمستقيم ، ألا ترى أن المثل لا يخلو عن أن يكون الصفة ، كما قال قوم ، أو يكون من معنى المشابهة والتشبه[٤] كما قلنا ، وفي كلا القولين لا يصح ما قال ، لو قلت : صفة الجنة جنة لم يصح ، لأنها لا تكون الصفة ؟ وكذلك لو قلت : شبه الجنة جنة ، ألا ترى أن الشبه عبارة عن المماثلة التي بين المماثلين ، وهو حدث ، والجنة غير حدث ؟ وإذا كان كذلك الأول لا يكون الثاني ، والصحيح في هذه الآية ما قاله سيبويه[٥] ، واعترض ابن الأنباري أيضاً على قول أبي إسحاق بأن قال : «لا يجوز أن يحذف من الآية جنة ، وهي منونة ؛ لأن الاسم لا يخلفه الفعل المستقبل ، لا يجوز أن تقول : مررت بيقوم ، على معنى : مررت برجل يقوم» .

---

(١) ديوانه ١٣٩ ، والبيت بتمامه :

تجاوَزْتُ وتْحتي جَسْرَةٌ حَرَجٌ في مِرْفَقَيْها كالفَتَلْ

تجاوزت : قطعت المسافة ، والجسرة : الناقة الضخمة الطويلة التي لا تركب ، وحرج : لا تركب ولا يضربها الفحل ، والفتل : الاندماج في المرفقين مع تباعد عن الجنب .

وانظر : اللسان (حرج) ٢/ ٨٢١ ، و(فتل) ٦/ ٣٣٤٣ ، وتهذيب اللغة ١/ ٧٧٥ ، وكتاب العين ٣/ ٧٧ ، وتاج العروس (حرج) ٣/ ٣٢١ ، وبلا نسبة في مقاييس اللغة ١/ ٢٦٠ .

(٢) معاني القرآن وإعرابه ٣/ ١٥٠ .

(٣) الإغفال ٢/ ٩٢٤ .

(٤) في (ب) : (والشبه) وهو الصحيح كما في الإغفال ٢/ ٩٢٤ ، وفي (ح) : (والتشبيه) .

(٥) إلى هنا انتهى النقل عن الإغفال ٢/ ٩١١-٩٢٤ بتصرف وزيادة وحذف .

وقال بعض النحويين : (مثل الجنة) مبتدأ وخبره محذوف ، وتقديره : مثل الجنة التي هي كذا وكذا أجل مثل ، وقال مقاتل[١] : «معنى الآية شبه الجنة التي وعد المتقون في الخير والنعمة والخلود والبقاء كشبه النار في العذاب والشدة والخلود» ، وعلى هذا الآية متصلة بما قبلها ، ويصير في التقدير ، كأنه قال : ولعذاب الآخرة أشق مثل الجنة ؛ أي في الدوام والخلود .

وقوله تعالى : ﴿ أُكُلُهَا دَآئِمٌ ﴾ قال الحسن[٢] : «يريد أن ثمارها لا تنقطع كثمار تنقطع في غير أزمنتها» ، وقيل : أراد أن النعمة بأكلها لا تنقطع بموت ولا غيره من الآفات .

وقوله تعالى : ﴿ وَظِلُّهَا ﴾ ؛ أي أنه[٣] لا يزول ولا تنسخه الشمس[٤] .

٣٦. قوله تعالى : ﴿ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَفْرَحُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ ﴾ الآية . قال المفسرون[٥] : «إن عبدالله بن سلام والذين آمنوا معه من أهل الكتاب ، ساءهم قلة ذكر الرحمن في القرآن مع كثرة ذكره في التوراة ، فأنزل الله تعالى : ﴿ قُلِ ٱدْعُواْ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُواْ ٱلرَّحْمَٰنَ ﴾ ففرح بذلك مؤمنو أهل الكتاب ، وكفر المشركون بالرحمن ، وقالوا : ما نعرف الرحمن إلا رحمن اليمامة» ، فأنزل الله هذه الآية .

وقوله تعالى : ﴿ وَمِنَ ٱلْأَحْزَابِ ﴾ يعني : الكفار الذين تحزبوا على رسول الله ﷺ ، ﴿ مَن يُنكِرُ بَعْضَهُۥ ﴾ يعني ذكر الرحمن ، وهم كانوا ينكرون جميع ما ينزل عليه ؛ إلا أن إنكارهم لهذا أشد ؛ لأنهم كانوا يعرفون اسم الله فلا ينكرون ذكره ،

---

(١) تفسير مقاتل ١٩٢أ .
(٢) زاد المسير ٤/ ٣٣٤ .
(٣) (أنه) ساقط من (ج) .
(٤) زاد المسير ٤/ ٣٣٤ .
(٥) الثعلبي ٧/ ١٣٩ب ، وزاد المسير ٤/ ٣٣٥ ، والقرطبي ٩/ ٣٢٦ .

وأنكروا ذكر الرحمن فذلك قولـه : ﴿ وَمِنَ ٱلْأَحْزَابِ مَن يُنكِرُ بَعْضَهُۥ ﴾ وهذا الذي ذكرنا معنى قول ابن عباس[١] في رواية الوالبي .

٣٧. قوله تعالى : ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ حُكْمًا عَرَبِيًّا ﴾ شبه إنزاله حكماً عربيًّا بما أنزل إلى من تقدم من الأنبياء ، أي كما أنزلنا الكتاب على الأنبياء بلسانهم ، كذلك أنزلنا إليك القرآن ، والكناية في قوله : ﴿ أَنزَلْنَٰهُ ﴾ تعود إلى ما في قوله : ﴿ يَفْرَحُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ ﴾ يعني القرآن .

وقوله تعالى[٢] : ﴿ حُكْمًا عَرَبِيًّا ﴾ قال ابن عباس[٣] : «يريد ما حكم عن الفرائض في القرآن» ، فعلى هذا يريد أحكام القرآن ، وجعله عربيًّا ؛ لأنه جار على مذاهب العرب في كلامها .

وقال غيره[٤] : أراد بالحكم العربي القرآن كله ؛ لأنه به يفصل بين الحق والباطل ، فهو من هذا الوجه حكم ؛ لأنه به يحكم ، وقال بعضهم[٥] : عنى بالحكم العربي الدين الذي أتى به النبي ﷺ جعله حكماً ؛ لأنه يحكم به ، وجعله عربيّاً ؛ لأنه أتى به عربيٌّ فنسب الدين إليه .

وقوله تعالى : ﴿ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم ﴾ الآية . قال المفسرون[٦] : وذلك أن المشركين دعوه إلى ملة آبائه ، فتوعده الله على اتباع هواهم ، قال عطاء عن

---

(١) تنوير المقباس ١٥٩ .
(٢) (تعالى) ساقط من (ب) .
(٣) زاد المسير ٤/ ٣٣٦ «قال : يريد ما فيه من الفرائض» .
(٤) القرطبي ٩/ ٣٢٧ ، والبحر المحيط ٥/ ٣٩٧ .
(٥) قال به أبو عبيدة ، مجاز القرآن ١/ ٣٣٤ ، وزاد المسير ٤/ ٣٣٦ .
(٦) زاد المسير ٤/ ٣٣٦ .

ابـــن عباس : «يريد مخاطبـــة لأصحابه ، فأما النبي ﷺ فمعصـــوم» ، فعلى هذا ، الخطاب للنبي)[١] ﷺ والمراد به غيره[٢] .

٣٨. قوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ ﴾ الآية .

قال الكلبي[٣] : «عيرت اليهود النبي ﷺ ، وقالت : ما نرى لهذا الرجل همة إلا النساء والنكاح ، ولو كان نبيّاً كما زعم لشغله أمر النبوة عن النساء ، فأنزل الله هذه الآية ، يقول : قد أرسلنا رسلاً من قبلك فجعلناهم بشراً لهم أزواج فنكحوهن ، وأولاد أنسلوهم» .

وقوله تعالى : ﴿ وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ﴾ إلا بإطلاقه له الآية ، قال أهل المعاني : يعني أن حاله كحال الرســـل الذيـــن تقدموا ، وأمره في الآيات جار على طريقتهم ، في أنهم كانوا لا يأتون بآية إلا بإذن الله[٤] ربهم ، لا على تحكم العباد بأهوائهم .

وقوله تعـــالى : ﴿ لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ ﴾ ؛ أي لكل أجل قدَّره الله تعالى ، ولكل أمر قضاه الله كتـــاب أثبت فيه ، فلا يكون آية إلا بأجل قـــد قضاه الله في كتاب ، والمعنـــى : لأجل كل أمر ووقته كتابة مثبتـــة ، لا يتقدم ذلك الأمر على وقته الذي كتب لـــه ولا يتأخر عنه ، هذا معنى قول أكثر المفسرين[٥] ، وقال الفرَّاء[٦] : «جاء

---

(١) ما بين القوسين مكرر في (ب) .

(٢) البحر المحيط ٥/ ٣٩٧ .

(٣) تنوير المقباس ١٥٩ ، والبحر المحيط ٥/ ٣٩٧ ، وزاد المســـير ٤/ ٣٣٦ ، والقرطبي ٩/ ٣٢٧ ، وتفسير كتاب الله العزيز ٢/ ٣١٣ .

(٤) لفظ الجلالة ساقط من (ب) .

(٥) الطبري ١٣/ ١٦٥ ، والثعلبي ٧/ ١٤٠ب ، وزاد المسير ٤/ ٣٣٧ ، والقرطبي ٩/ ٣٢٨ .

(٦) معاني القرآن ٢/ ٦٥ .

التفسير : لكل كتاب أجل مؤجل ووقت معلوم» ، وعنده أن هذا من المقلوب ، والمعنى فيهما واحد ، وهذا مذهب مقاتل[١] .

٣٩. قوله تعالى : ﴿ يَمْحُواْ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُ ﴾ الآية ، المحو[٢] ذهاب أثر الكتابة ، يقال : محاه يمحو ويمحاه أيضاً محواً ، وطيئ تقول : محيته محياً ، وأمحى الشيء وامتحى ، إذا ذهب أثره .

وقوله تعالى : ﴿ وَيُثْبِتُ ﴾ قال النحويون[٣] أراد ويثبته . واستغنى بتعدية الأول من الفعلين عن تعدية الثاني ، والعرب تفعل ذلك كثيراً ، كقوله تعالى : ﴿ وَٱلْحَٰفِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَٱلْحَٰفِظَٰتِ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ ﴾ [الأحزاب :٣٥] . وقول الشاعر[٤] :

بِأَيِّ كِتَابٍ أَمْ بِأَيَّةِ سُنَّةٍ

تَرى حُبَّهُمْ عاراً عَلَيَّ وَتَحسِبُ

فلم يعمل الثاني .

---

(١) تفسير مقاتل : (١٩٢أ) . وإلى هذا القول ذهب الضحاك في ما روى عنه الطبري ١٣/ ١٦٥ .
وقد تعقب هذا القول أبو حيان فقال : «ولا يجوز ادعاء القلب إلا في ضرورة الشعر ، وأما هنا فالمعنى في غاية الصحة بلا عكس ولا قلب ، بل ادعاء القلب هنا لا يصح المعنى عليه ، إذ ثم أشياء كتبها الله تعالى أزلية ؛ كالجنة ونعيم اهلها لا أجل لها» اهـ . البحر المحيط ٥/ ٣٩٧ .

(٢) تهذيب اللغة (محا) ٤/ ٣٣٤٧ .

(٣) الحجة ٥/ ٢٠ .

(٤) الكميت يمدح آل البيت ، انظر : المحتسب ١/ ١٨٣ ، والخزانة ٤/ ٥ ، والعين ٢/ ٤١٣ ، والهمع ١/ ١٥٢ ، والدرر ١/ ١٣٤ ، وشرح ديوان الحماسة للمرزوقي : (٦٩٢) ، والمقاصد النحوية ٢/ ٤١٣ .

وقوله تعالى : ﴿ وَيُثْبِتُ ﴾ قرئ[١] بالتخفيف والتشديد ، فمن خفف ذهب إلى أن الإثبات ضد المحو ، لا التثبيت ، فلما كان في مقابلة المحو كان التخفيف أولى من التشديد ، ولأن التشديد للتكثير ، وليس القصد بالمحو التكثير ، وكذلك ما يكون في مقابلته ، ومن يشدد احتج بقوله : ﴿ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا ﴾ [النساء :٦٦] . وقوله تعالى : ﴿ فَثَبِّتُوا ﴾ [الأنفال :١٢] ؛ لأن يثبت مطاوع ثبت . واختلفوا في تفسير هذه الآية ، فذهب قوم إلى أنها عامة في كل شيء ، كما يقتضيه ظاهر اللفظ ، وقالوا : إن الله تعالى يمحو من الرزق ويزيد فيه ومن الأجل ، ويمحو السعادة والشقاوة ، وهو مذهب عمر[٢] وابن مسعود[٣] وابن وائل[٤] ، وهؤلاء كانوا يدعون الله أن يثبتهم سعداء ، ويمحو شقاوتهم من الكتاب إن أثبت فيه ، ويروى هذا عن النبي ﷺ ، رواه أبو صالح عن عبدالله بن رئاب[٥] عن جابر[٦] مثل ما ذكرنا من المعنى .

---

(١) قرأ ابن كثير وأبو عمرو وعاصم ﴿ وَيُثْبِتُ ﴾ ساكنه الثاء خفيفة الباء ، شرح ديوان الحماسة للمرزوقي : (٦٩٢) ، والمقاصد النحوية ٢/ ٤١٣ ، وقرأ نافع وابن عامر وحمزة والكسائي (ويُثَبِّت) مفتوحة الثاء مشددة الباء .
انظر : السبعة ٣٥٩ ، وإتحاف ٢٧٠ ، وزاد المسير ٤/ ٣٣٧ ، والقرطبي ٩/ ٣٢٩ .

(٢) الطبري ١٣/ ١٦٧ ، ١٦٨ ، وعبد بن حميد وابن المنذر كما في الدر ٤/ ١٢٣ ، والثعلبي ٧/ ١٤١أ ، وزاد المسير ٤/ ٣٣٧ ، والقرطبي ٩/ ٣٣٠ ، وتفسير كتاب الله العزيز ٢٠/ ٣١٤ .

(٣) الطبري ١٣/ ١٦٨ ، وابن أبي شيبة في المصنف ، وابن أبي الدنيا في الدعاء كما في الدر ، وابن المنذر والطبراني كما في الدر ٤/ ١٢٣ ، والثعلبي ٧/ ١٤١أ ، وزاد المسير ٤/ ٣٣٧ ، والقرطبي ٩/ ٣٣٠ .

(٤) الطبري ١٣/ ١٦٧ ، والثعلبي ٧/ ١٤١ ، وزاد المسير ٤/ ٣٣٧ ، والقرطبي ٩/ ٣٣٠ .

(٥) عبدالله بن رياب ، قال ابن فتحون في أوهام الاستيعاب عن ابن علي حسن بن خلف إنه أحد السبعة أو الثمانية السابقين من الأنصار إلى الإسلام . انظر : الإصابة ٢/ ٣٠٧ .

(٦) الطبري ١٣/ ١٦٨ من طريق الكلبي عن أبي صالح عن جابر بن عبدالله بن رئاب الأنصاري عن النبي ﷺ ، وعلق أحمد شاكر بقوله : «محمد بن السائب الكلبي النسابة المفسر ، متكلم فيه بما لا يحتمل الرواية عنه» .
وهذا الخبر أخرجه ابن سعد في الطبقات الكبرى مختصراً ٣/ ٣/ ١١٤ ، وخرجه السيوطي في الدر المنثور ٤/ ١٢٣ ، وزاد نسبته إلى ابن مردويه ، ونقله ابن كثير في تفسيره ٢/ ٥٧٠ .
وفي الثعلبي ٧/ ١٤٠ب ، بالسند الذي ذكره الطبري خلافاً لما في المتن ـ هنا ـ حيث قال أبو صالح عن عبدالله بن رئاب عن جابر .
وانظر : الدر المنثور ٤/ ١٢٣ .

وهذا قول ابن عباس[١] في رواية سعيد بن جبير ، قال : «أم الكتاب عند الله من الشقاوة والسعادة ويمحو الله ما يشاء من ذلك ويثبت» ، وذهب قوم إلى أن هذه الآية خاصة في بعض الأشياء دون بعض ، فروى ابن عمر عن النبي ﷺ أنه قال : «﴿ يَمْحُواْ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُ ﴾ إلا الشقاوة والسعادة ، والموت»[٢] ، ونحو هذا روي عن ابن عباس[٣] وزاد في المستثنى ثلاثة أخرى : الخَلْق والخُلُق والرزق ، وقال مجاهد[٤] في ما روى عنه منصور : «الشقاء والسعادة[٥] لا يغيران» .

وقال ابن عباس[٦] في رواية أبي صالح : «إن الذي يمحوه الله ويثبته ما يصعد به الحفظة مكتوباً على بني آدم ، فيأمر -جل وعز- أن يثبت عليه ما فيه ثواب وعقاب ، ويسقط عنه ما لا ثواب فيه ولا عقاب» ، وهذا القول اختيار الفرَّاء[٧] ، وقول الضحاك[٨] والكلبي[٩] .

---

(١) الطبري ١٣/ ١٦٨ .

(٢) قال الهيثمي في مجمع الزوائد ٧/ ١٢٧ : «رواه الطبراني في الأوسط ، وفيه محمد بن جابر اليمامي ، وهو ضعيف من غير تعمد كذب» ، وقال السيوطي في الدر ٤/ ١٢٣ : «أخرجه الطبراني في الأوسط ، وابن مردويه بسند ضعيف ، وأخرجه الثعلبي بسنده ٧/ ١٤٠ب» .
وروي عن ابن عباس ومجاهد نحوه كما سيأتي .

(٣) الثعلبي ٧/ ١٤٠ب ، والقرطبي ٩/ ٣٢٩ ، وقد روى عن ابن عباس استثناء الشقاوة والسعادة والحياة والموت فقط . انظر : الطبري ١٣/ ١٦٦ ، ١٦٧ ، وزاد المسير ٤/ ٣٣٧ .

(٤) الطبري ١٣/ ١٦٦ ، وابن المنذر كما في الدر ٤/ ١٢٥ ، وزاد المسير ٤/ ٣٣٨ ، وتفسير كتاب الله العزيز ٢/ ٣١٣ .

(٥) في (ب) : زيادة واو (ولا يغيران) .

(٦) زاد المسير ٤/ ٣٣٨ ، وتنوير المقباس ١٥٩ ، والثعلبي ٧/ ١٤٠ب .

(٧) معاني القرآن ٢/ ٦٦ .

(٨) زاد المسير ٤/ ٣٣٨ ، والثعلبي ٧/ ١٤٠ب ، والقرطبي ٩/ ٣٣١ .

(٩) الطبري ١٣/ ١٦٨ ، والثعلبي ٧/ ١٤١أ ، وزاد المسير ٤/ ٣٣٨ ، والقرطبي ٩/ ٣٣١ .

وقال آخرون : هذا المحو والإثبات في الآجال والأرزاق إذا ولد الإنسان أثبت أجله ورزقه ، وإذا مات محيا ، وهذا[١] القول يروى عن الحسن[٢] والقرظي[٣] .

وقال سعيد بن جبير[٤] وقتادة[٥] : «يمحو الله ما يشاء من الشرائع ، فينسخه ، ويثبت ما يشاء فلا ينسخه» ، وهذا القول هو اختيار أبي علي[٦] ، قال : «هذا -والله أعلم- في ما يحتمل النسخ والتبديل من الشرائع الموقوفة على المصالح على حسب الأوقات ، فأما ما كان من غير ذلك فلا يمحى ولا يبدل ، وهذه الآية يجوز أن تكون مستأنفة غير متصلة بما قبلها ، ويجوز أن تكون متصلة ، على أن يكون قوله : ﴿ يَمْحُواْ ٱللَّهُ ﴾ من صفة النكرة التي هي قوله : ﴿ ٱلْكِتَٰبِ ﴾ على تقدير : لكل أجل كتاب يمحو الله ما يشاء من ذلك الكتاب ويثبت ، والراجع إلى النكرة محذوف» .

فإن قيل : ألستم تزعمون أن المقادير سابقة قد جف به القلم ؟ وليس الأمر بأنف ؟ وكيف يستقيم مع هذا المحو والإثبات أيضاً مما جف به القلم ؟ فلا يمحو إلا ما سبق في حكمه وقضائه محوه ، وهذا معنى قوله : ﴿ وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ ﴾ قال ابن عباس[٧] : «يريد اللوح المحفوظ الذي لا يبدل ولا يغير منه شيء» ، هذا قوله في رواية عطاء وعكرمة ، ومعنى (أم الكتاب) أصل الكتاب ، والعرب تسمي كل شيء ضم إليه سائر ما يليه أُمّاً ، من ذلك : أم الرأس ، وهو الدماغ ،

---

(١) في (أ) و(ب) : (وهو) .

(٢) الطبري ١٣/ ١٨٩ ، وابن أبي حاتم كما في الدر ٤/ ١٢٦ ، والثعلبي ٧/ ١٤١ب ، وزاد المسير ٤/ ٣٣٨ ، والقرطبي ٩/ ٣٣٢ ، وتفسير كتاب الله العزيز ٢/ ٣١٣ ، ٣١٤ .

(٣) الثعلبي ٧/ ١٤١ب .

(٤) الثعلبي ٧/ ١٤١ب ، والقرطبي ٩/ ٣٣١ .

(٥) الطبري ١٣/ ١٦٨ ، والثعلبي ٧/ ١٤١ب ، والقرطبي ٩/ ٣٣١ .

(٦) الحجة ٥/ ٢١ .

(٧) الطبري ١٣/ ١٧٠ ، والثعلبي ٧/ ١٤٠ب ، وزاد المسير ٤/ ٣٣٩ ، وتفسير كتاب الله العزيز ٢/ ٣١٤ .

وأم القـرى مكة ، وكل مدينة هي أم ما حولها من القرى ، وكذلك أم الكتاب هو أصـل لكل ما كتب على ابن آدم ، وكل ما يجري مـن الكائنات والحادثات ، قال كعب[١] : «علم الله ما هو خالقه ، وما خَلْقُه عاملون ، فقال لعلومه[٢] : كن كتاباً ، فكان كتاباً» ، فهذا يدل على أن ما سبق في علمه أنه يمحى أو[٣] يثبت فلا[٤] يمحى في أم الكتاب ، وأن المحو والإثبات مما سبق به القضاء .

وهل يمحى من أم الكتاب أم لا ؟

يدل قـول بعض المفسريـن على أنه لا يمحـى منه ، فقد قـال عكرمة عن ابن عباس[٥] : «هما كتابان : كتاب سوى أم الكتاب ، يمحو منه ما يشاء ويثبت ، وعنـده أم الكتاب الـذي لا يغير منه شيء» ، وقول أكثرهم يـدل أنه يُمحى منه ويثبـت ، وهو قول قتادة[٦] والضحاك[٧] وابن جريج[٨] في ما روى عن عطاء عن ابن عباس ، ونحوه روى أبو الدرداء عن النبي ﷺ قال : «إن الله -سـبحانه- في ثلاث سـاعات يبقين من الليـل ينظر في أم الكتاب الـذي لا نظر فيه أحد غيره فيمحو ما يشاء ويثبت ما يشاء»[٩] .

---

(١) الطبري ١٣/ ١٧٠ ، وعبدالرزاق ٢/ ٣٣٨ ، وابن كثير ٢/ ٥٧١ ، وتفسير كتاب الله العزيز ٢/ ٣١٤ .

(٢) في (أ) و(ج) : (لعكومه) . هكذا بالجمع في الروايات ، وعند عبدالرزاق ٢/ ٣٣٨ من رواية ابن عباس عن كعب (. .ثم قال لعلمه : كن كتاباً فكان كتاباً) .

(٣) في (ب) : بالواو (يمحى ويثبت) .

(٤) في (ب) : (ولا يمحى) .

(٥) الطـبري ١٣/ ١٦٧-١٦٩ ، ومحمد بن نصر وابن المنذر وابن أبي حاتم والحاكم وصححه كما في الدر ٤/ ٦٦٠ ، والثعلبي ٧/ ١٤٠ب ، وزاد المسير ٤/ ٣٣٩ ، والقرطبي ٩/ ٣٢٩ .

(٦) الطبري ١٣/ ١٦٩ .

(٧) الطبري ١٣/ ١٦٨ ، والدر ٤/ ١٢٥ .

(٨) الطبري ١٣/ ١٦٩ .

(٩) الطبري ١٣/ ١٧٠ ، وعلق عليه أحمد شاكر : منكر ، وأخرجه ابن أبي حاتم وابن مردويه والطبراني كما في الدر ٤/ ١٢٢ ، وابن كثير ٢/ ٥٧٠ ، والثعلبي ٧/ ١٤٢أ . =

٤٠. قوله[١] : ﴿وَإِن مَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ ٱلَّذِى نَعِدُهُمْ﴾ قال ابن عباس[٢] والمفسرون[٣] : «من العذاب» ، ﴿أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ﴾ قال[٤] : «يريد من قبل ذلك» ، قال أهل اللغة : تقديره : أو نتوفينك قبل أن نريك[٥] ذلك ، فحذف اختصاراً ، لاقتضاء الكلام له ، ﴿فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَٰغُ﴾ قال ابن عباس : «يريد قد بلغت وعلينا الحساب» ، قال : يريد إليّ مصيرهم فأجازيهم بأعمالهم ، قال أبو إسحاق[٦] وابن قتيبة[٧] : «أراد إن أريناك بعض الذي نعدهم في حياتك أو توفيناك قبل أن نريك ذلك ، فليس عليك إلا أن تبلغ ، كفروا هم به[٨] أو آمنوا ، وعلينا أن نجازي ، والبلاغ[٩] اسم يقام مقام التبليغ ، كالسراج والأداء» .

= قال الهيثمي في مجمع الزوائد ١٠/ ١٥٤ ، ١٥٥ : «رواه الطبراني في الكبير ، والأوسط ، والبزار بنحوه ، وفيه زيادة بن محمد الأنصاري وهو منكر الحديث» اهـ .

(١) في (ب) و(ج) زيادة : (تعالى) .

(٢) تنوير المقباس ١٥٩ .

(٣) الطبري ١٣٦/ ١٧٢ ، والثعلبي ٧/ ١٤٢ب ، وزاد المسير ٤/ ٣٣٩ ، والقرطبي ٩/ ٣٣٣ ، وابن كثير ٤/ ٥٧١ ، والبحر المحيط ٥/ ٣٩٩ .

(٤) تنوير المقباس ١٥٩ ، وزاد المسير ٤/ ٣٣٩ .

(٥) في (ح) : (نرينك) .

(٦) معاني القرآن وإعرابه ٣/ ١٥٠ .

(٧) مشكل القرآن وغريبه ٢٣٤ .

(٨) في (ح) : سقط (به) فيكون : (كفروا هم أو آمنوا) .

(٩) تهذيب اللغة (بلغ) ١/ ٣٨٧ .

٤١. قوله تعالى: ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا ﴾ يعني كفار مكة[١]، ﴿ أَنَّا نَأْتِي ٱلْأَرْضَ ﴾ يقصد أرض مكة، ﴿ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا ﴾ بالفتوح على المسلمين منها، قال ابن عباس[٢]: «يريد ما دخل في الإسلام من بلاد الشرك»، وقال الضحاك[٣]: «أَوَلَمْ ير أهل مكة أنا نفتح لمحمد ما حوله من القرى»، وقال مقاتل[٤]: «الأرض مكة، ونقصها من أطرافها غلبة المؤمنين عليها»، وهذا قول الحسن[٥]، وقال أبو إسحاق[٦]: «أعلم الله أن بيان ما وعدوا من قهرهم وتعذيبهم قد ظهر وتبين، يقول: أولم يروا أنا فتحنا على المسلمين من الأرض ما قد تبين لهم، فكيف لا يعتبرون؟»، وقال الفرَّاء[٧]: «أولم ير أهل مكة أنا نفتح عليك ما حولها، أفلا يخافون أن تنالهم»، وروي عن ابن عباس[٨] في قوله: ﴿ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا ﴾ قال: «موت علمائها وفقهائها، وذهاب خيار أهلها»، ونحو هذا قال

(١) انظر: الطبري ١٣/ ١٧٢، والقرطبي ٩/ ٣٣٣، وتنوير المقباس ١٥٩.

(٢) الطبري عن ابن عباس بلفظ قال: «أولم يروا أنا نفتح لمحمد الأرض بعد الأرض» ١٣/ ١٧٢، وابن مردويه كما في الدر ٤/ ١٢٧، وزاد المسير ٤/ ٣٤٠.

(٣) الطبري ١٣/ ١٧٣، وسعيد بن منصور وابن أبي شيبة وابن المنذر وابن أبي حاتم كما في الدر ٤/ ١٢٧. وأخرج عبد بن حميد نحوه في الدر ٤/ ١٢٧، وزاد المسير ٤/ ٣٤٠، والثعلبي ٧/ ١٤٢ب.

(٤) تفسير مقاتل ١٩٢أ، وزاد المسير ٤/ ٣٤٠.

(٥) الطبري ١٣/ ١٧٣، وعبدالرزاق ٢/ ٣٣٩، وعبد بن حميد وابن أبي حاتم كما في الدر ٤/ ١٢٧، والثعلبي ٧/ ١٤٢ب، وتفسير كتاب الله العزيز ٢/ ٣١٥.

(٦) معاني القرآن وإعرابه ٣/ ١٥١.

(٧) معاني القرآن ٢/ ٦٦.

(٨) عبدالرزاق وابن أبي شيبة ونعيم بن حماد في الفتن، وابن المنذر وابن أبي حاتم والحاكم وصححه كما في الدر ٤/ ١٢٦، والثعلبي ٧/ ١٤٣ب، والطبري ١٣/ ١٧٤، وزاد المسير ٤/ ٣٤٠، والقرطبي ٩/ ٣٣٣، وتفسير كتاب الله العزيز ٢/ ٣١٥.

مجاهد[١] ، وعلى هذا المراد بالأطراف الأشراف[٢] ، يقال للأشراف الأطراف ، قال الفرزدق[٣] :

وَاسْأَلْ بِنَا وَبِكُمْ إِذا وَرَدَتْ بِنا[٤] أَطْرَافُ كُلِّ قَبِيلَةٍ مَنْ تُمْنَعُ

يريد أشراف كل قبيلة .

قال ابن الأعرابي[٥] : «الطَّرَف والطَّرْف من الرجال الكريم» ، والتفسير على القول الأول[٦] ؛ لأن هذا وإن صح لا يليق بهذا الموضع .

وقوله تعالى : ﴿ لَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِۦ ﴾ قال ابن عباس[٧] : «لا ناقض لحكمه» ، وقال الفرَّاء[٨] : «لا راد لحكمه» ، قال : «والمعقب الذي يكرُّ على الشيء ويتبعه ، ولا يكرُّ أحدٌ على ما أحكمه الله» ، وذكرنا الكلام في هذا عند قوله : ﴿ لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٌ ﴾ [الرعد :١١] .

---

(١) عبدالرزاق ٢/ ٣٣٩ ، والطبري ١٣/ ١٧٤ ، وابن أبي شيبة كما في الدر ٤/ ١٢٦ ، وزاد المسير ٤/ ٣٤٠ ، والقرطبي ٩/ ٣٣٣ .

(٢) تهذيب اللغة (طرف) ٣/ ٢١٨١ .

(٣) ديوانه :١/ ٤٢٤ ، وفيه :

واسألْ بِنا وَبِكُمْ إذا وَرَدَتْ مِني أَطْرَافُ كُلِّ قَبيلَةٍ مَنْ يَسْمَعُ

تهذيب اللغة (طرف) ٣/ ٢١٨ ، واللسان (طرف) ٥/ ٢٦٦٠ ، وفيه :

واسألْ بِنا وَبِكُمْ إذا وَرَدَتْ مِنى أَطْرَافُ كُلِّ قَبيلَةٍ مَنْ يُمتَعُ

(٤) في (ب) : (منا) .

(٥) تهذيب اللغة (طرف) ٣/ ٢١٨١ .

(٦) وقد رجحه الطبري ١٣/ ١٧٤ ، وابن كثير ٢/ ٥٧٢ ، وأبو حيان في البحر المحيط ٥/ ٤٠٠ ولم يذكر الزمخشري إلا نحو هذا القول .

(٧) تنوير المقباس ١٥٩ .

(٨) معاني القرآن ٢/ ٦٦ .

وقولــه تعــالى : ﴿ وَهُوَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴾ قال ابن عبــاس[١] : «يريد سريع الانتقام» ، يعني حســابه للمجازاة بالخير والشر ومجازاة الكافــر بالانتقام منه ، وذكرنــا الــكلام في معنى سرعة حســاب الله تعالى في ســورة البقــرة في قوله : ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّمَّا كَسَبُواْ ﴾ [البقرة :٢٠٢] .

٤٢. قوله تعالى : ﴿ وَقَدْ مَكَرَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ﴾ قــال المفسرون[٢] : يعني كفار الأمم الخالية مكروا بأنبيائهم ؛ مثل : نمروذ مكر بإبراهيم ، وغيره من الكفار قبل مشركي مكة .

وقولــه تعالى : ﴿ فَلِلَّهِ ٱلْمَكْرُ جَمِيعًا ﴾ يعني[٣] أن مكر الماكرين له ، أي هو من خلقــه ، وإرادته ، فالمكر جميعاً مخلوق له بيده الخــير والشر ، وإليه النفع والضر ، والمعنى أن المكر لا يضر إلا بإذنه وإرادته ، وفي هذا تسلية للنبي ﷺ ، وأمان له من مكرهــم ، كأنه قيل : قد فعل من قبلهم من الكفار مثل صنيعهم ولا ضرر عليك من مكرهم ؛ لأن جميع ذلك لله مخلــوق ، فلا يضر إلا من أراد الله ضرّه ، وذهب بعض الناس[٤] إلى أن المعنى : فلله جزاء المكر ، وذلك أنه لما مكروا بالمؤمنين ، بيَّن الله تعالى وبال مكرهم عليهم ، فمجازاة[٥] الله لهم ، والأوّل أظهر القولين ، يؤكده قوله تعالى : ﴿ يَعْلَمُ مَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ ﴾ يريد أن جميع الاكتساب معلوم له ومخلوق ، وإذا كان بخلقــه يظهر وبعلمه يحصل ؛ لم يقع ضرره إلا بإذنه ، وفيه وعيد للكفار الماكرين .

---

(١) القرطبي ٩/ ٣٣٤ .

(٢) الطبري ١٣/ ١٧٥ ، والثعلبي ٧/ ١٤٤ب ، وزاد المســير ٤/ ٣٤٠ ، والقرطبي ٩/ ٣٣٥ ، وتفســير كتاب الله العزيز ٢/ ٣١٦ .

(٣) انظر : الثعلبي ٧/ ١٤٤ب ، وزاد المسير ٤/ ٣٤١ ، والقرطبي ٩/ ٣٣٥ .

(٤) الثعلبي ٧/ ١٤٤ب ، والقرطبي ٩/ ٣٣٥ .

(٥) في (ب) : (بمجازاة) .

وقوله تعالى : ﴿ وَسَيَعْلَمُ ٱلْكُفَّارُ ﴾[١] قال ابن[٢] عباس[٣] : «يريد أبا جهل» ، وقال أبو إسحاق[٤] : «الكافر اسم جنس ، كما تقول : كثر الدرهم في أيدي الناس» ، فعلى قول ابن عباس التوحيد للتخصيص ، وعلى قول أبي إسحاق التوحيد هاهنا كالجمع ، قال أبو علي[٥] : «من قرأ (الكافر) جعله اسماً شائعاً ، كالإنسان في قوله : ﴿ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ﴾ [العصر :٢] . وقد جاء فاعل يراد به اسم الجنس» ، أنشد أبو زيد[٦] :

إِنْ تَبْخَلِي يا جَمْلُ أَوْ تَعْتَلّي أَوْ تُصْبِحِي في الظَّاعِنِ المُولِّي

قال : «فهذا إنما يكون على الكثرة ، وليس المعنى على كافر واحد ، وزعموا أنه الألف[٧] فيه ، وهذا الحرف إنما يقع في فاعل ؛ نحو خالد وصالح ، ولا يكاد يحذف في فُعَّال» ، وهذا حجة لمن قرأ (الكافر) .

---

(١) هكذا (الكافر) في النسخ جميعها ، وهي قراءة ابن كثير ونافع وأبي عمرو ، وقرأ عاصم وابن عامر وحمزة والكسائي ﴿ٱلْكُفَّارُ﴾ على الجمع .
انظر : السبعة ٣٥٩ ، والحجة ٥/ ٢١ ، والإتحاف ٢٧٠ ، والطبري ١٣/ ١٧٥ ، وزاد المسير ٤/ ٣٤١ ، والقرطبي ٩/ ٣٣٥ .

(٢) في (ج) إقحام (إسحاق) ، فيكون (قال ابن إسحاق عباس) .

(٣) زاد المسير ٤/ ٣٤١ ، والقرطبي ٩/ ٣٣٥ ، والبحر المحيط ٥/ ٤٠١ .

(٤) معاني القرآن وإعرابه ٣/ ١٥١ .

(٥) الحجة ٥/ ٢٢ مختصراً .

(٦) أنشده سيبويه ٢/ ٨٢ ، ونسبه إلى رجل من بني أسد ، وورد في النوادر ٥٣ ضمن أبيات من مشطور السريع منسوباً إلى منظور بن مرثد الأسدي ، واللسان (عهل) ٥/ ٣١٥٢ ، والحجة ١/ ١٥١ .

(٧) في الحجة : (أنه لا ألف فيه) .

ومن[١] قرأ (الكفار) أراد جميع الكفار ولا إشكال فيه، وحجته قراءة من قرأ[٢]: (وسيعلم الذين كفروا) وقراءة من قرأ[٣] (وسيعلم الكافرون) قال عطاء[٤]: «يريد المستهزئين وهم خمسة، والمقتسمين وهم ثمانية وعشرون».

وقوله تعالى: ﴿لِمَنْ عُقْبَى ٱلدَّارِ﴾ الجار[٥] مع المجرور في موضع نصب من حيث سد الكلام الذي هو فيه مسد مفعولي العلم، فصار كقولك: علمت لمن الغلام. والكلام[٦] في (عقبى الدار) قد مضى في موضعين من هذه السورة[٧].

٤٣. قوله تعالى: ﴿وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَسْتَ مُرْسَلًا ۚ قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ﴾. قال الزَّجَّاج[٨]: «الباء في موضع رفع مع الاسم، المعنى: كفى الله، وشهيداً منصوب على التمييز»، والكلام في مثل هذا قد مضى قديماً، وقال غيره من النحويين: إنما جاز: كفى بالله، في موضع كفى الله، لتحقيق إضافة الفعل، وذلك أن الفعل لما جاز أن يضاف إلى غير فاعله، بمعنى: أنه أمر به، أزيل هذا الاحتمال بهذا التأكيد، ونظيره في تأكيد الإضافة قوله: ﴿لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَىَّ﴾ [ص: ٧٥]، ومعنى ﴿كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا﴾ أي[٩]: بما أظهر من الآيات، وأبان من الدلالة على صحة نبوتك؛ لأنه لا يشهد بصحة نبوته إلا على هذه الصفة.

---

(١) في (أ): (وأملينها).

(٢) نسب الطبري هذه القراءة إلى أبي ١٣/ ١٧٥، ونسبها مكي في الكشف ٢/ ٢٣ إلى أبي، وفي البحر المحيط ٥/ ٤٠١ كذلك.

(٣) نسب الطبري هذه القراءة إلى ابن مسعود ١٣/ ١٧٥ وكذا أبو حيان في البحر المحيط ٥/ ٤٠١.

(٤) البحر المحيط ٥/ ٤٠١.

(٥) نقل عن الحجة ٥/ ٢١، ٢٢.

(٦) (والكلام) ساقط من (أ) و(ج).

(٧) آية ٢٢، ٢٤.

(٨) معاني القرآن وإعرابه ٣/ ١٥١.

(٩) زاد المسير ٤/ ٣٤١.

وقولــه تعالى : ﴿ وَمَنْ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْكِتَٰبِ ﴾ قال مجاهد[١] : «هو الله عز وجل» ، واختار أبو إســحاق[٢] هذا القول ، قال : «لأن الأشــبه أن الله لا يستشــهد على خلقه بغيره» .

قــال أبو بكر : «فعــلى هذا القول عطــف (من) على اســم الله تعالى ، وهو لزيــادة معنى في المعطوف ، كــما تقول : قام عبدالله والظريــف العاقل ، وجلس زيــد والذي يفوق في الخير أصحابــه ، فيعطفون الثاني عــلى الأول ، لما يريد فيه من معنى المدح» .

وقال ابن عبــاس[٣] وقتادة[٤] : «﴿ وَمَنْ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْكِتَٰبِ ﴾ يعني الذين آمنوا من اليهود والنصارى ، منهم عبدالله بن سلام ، وسلمان الفارسي ، وتميم الداري» .

وأنكر ســعيد بن جبير[٥] أن يكون عبدالله بن ســلام من هذه الجملة ؛ لأن السورة مكية ، وإسلامه كان بعد هذه السورة .

---

(١) الطبري ١٣/ ١٧٧ ، وابن المنذر وابن أبي حاتم كما في الدر ٤/ ١٢٩ ، وابن كثير ٢/ ٥٧٢ ، وزاد المسير ٤/ ٣٤٢ ، والقرطبــي ٩/ ٣٣٦ ، وهذا القول مروي عن الحســن وغيره ، انظر : المراجع الســابقة . وانظر : تفسير كتاب الله العزيز ٢/ ٣١٧ .

(٢) معاني القرآن وإعرابه ٣/ ١٥١ .

(٣) المروي عن ابن عباس قوله : «هم اهــل الكتاب من اليهود والنصارى» . انظر : الطبري ١٣/ ١٧٦ ، والدر ٤/ ١٢٨ ، وزاد المسير ٤/ ٣٤١ ، وابن كثير ٢/ ٥٧٢ ، وتفسير كتاب الله العزيز ٢/ ٣١٧ .

(٤) عبدالرزاق ٢/ ٣٣٩ ، والطبري ١٣/ ١٧٦ ، ١٧٧ ، وابن المنذر وابن أبي حاتم كما في الدر ٤/ ١٢٨ ، وزاد المسير ٤/ ٣٤١ ، والقرطبي ٩/ ٣٣٥ ، والبحر المحيط ٥/ ٤٠١ ، وابن كثير ٢/ ٥٧٢ .

(٥) الطبري ١٣/ ١٧٨ وســعيد بن منصــور وابن المنذر وابن أبي حاتم والنحاس في ناســخه كما في الدر ٤/ ١٢٩ ، والثعلبي ٧/ ١٤٤ب ، وابن كثير ٢/ ٥٧٢ .

قال ابن الأنباري : «وعلى هذا القول شـــهادة هؤلاء قاطعة لقول الخصوم ، واحتج عليهم بشهادتهم ؛ لأنهم رضوا بقولهم ، وقالوا : هم الرؤساء في العلوم ، والعالمـــون بالأخبار القديمـــة وكتب الله تعالى ، فقيل لهم : كفى بهؤلاء شـــهوداً عليكم ، إذ كان محلكم في أنفسكم محل من يلزمكم قبول قوله» .

وقال عطاء عن ابن عباس[1] : «﴿ وَمَنْ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْكِتَٰبِ ﴾ يعني جبريل عليه السلام»[2] .

قال ابن الأنباري : «على القول الأول -وهو قول مجاهد- يكون في محل (من) أربعة أوجه : الخفض بالنسق على اســـم الله في اللفظ ، والرفع بالنسق في المعنى ؛ لأن التقدير : كفى الله شهيداً ، والنصب على المدح بمعنى : واذكر الذي عنده علم الكتاب ، والرفع على المدح أيضاً بإضمار هو ، كما تقول العرب : سعى عبدالله في حاجتك ، والبارُّ المتفضِّلُ ، والبارَّ المتفضِّلَ بالنصب والرفع على ما ذكرنا» .

* * *

(١) القرطبي ٩/ ٣٣٦ .
وأخرجه ابن أبي حاتم عن سعيد بن جبير كما في الدر ٤/ ١٢٩ .

(٢) قلـــت : الراجـــح -والله أعلم- من هـــذه الأقوال هو قـــول ابن عبـــاس أن المراد به علـــماء اليهود والنصـــارى من غير تخصيـــص ، فإن المشركـــين في مكة كانوا يســـألونهم ويستشـــهدون بأقوالهم ، وقـــد ورد آيات أخر فيها الاستشـــهاد بهم ، وبما يعلمونـــه من كتبهم من صحة رســـالة محمد ﷺ ؛ ومـــن ذلـــك قولـــه تعـــالى : ﴿ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِىَّ ٱلْأُمِّىَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ ﴾ [الأعـــراف :١٥٧] ، وقولـــه : ﴿ أَوَلَمْ يَكُن لَّهُمْ ءَايَةً أَن يَعْلَمَهُۥ عُلَمَٰٓؤُا۟ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴾ [الشعراء :١٩٧] ، وغير ذلك ، وقد رجح هذا القول الإمام الطبري ١٣/ ١٧٦ ، وابن كثير ٢/ ٥٧٢ فقال : «والصحيح في هذا أن ﴿ وَمَنْ عِندَهُۥ ﴾ اســـم جنس يشـــمل علماء الكتاب الذين يجدون صفة محمد ﷺ ونعته في كتبهم المتقدمة ، من بشارات الأنبياء به» .